337

HARLEQUIN

روايات أحلام

لورا والأمير

ليز فيلدينغ

www.elromancia.com

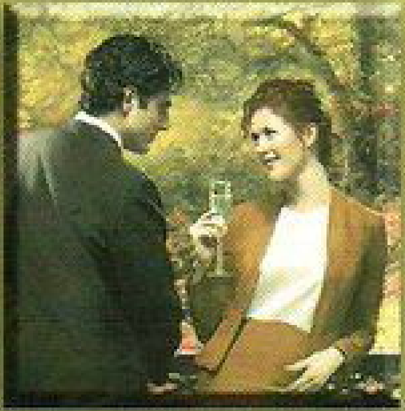

لورا و الأمير

الحياة أقل رتابة .. بصحبة أمير !
لاحظت لورا أن الأمير الكسندر ولي عهد " مونتورينو" بحاجة إلى إجازة ... من مركزه ! فقد كان بالغ التحفظ والرسمية ... إنه بحاجة إلى بعض المرح والإشراق ... بحاجة إلى عدة أيام يمضيها إنسانا عاديا مثلها ، فيذهب إلى التسوق والحدائق العامة ويغسل الأطباق ... وستكون لورا دليلته !

أحس الكسندر بوجود لورا كنسمة من هواء عليل ... لم تلتزم بقواعد البروتوكول فكانت هي التى تلقي عليه الأوامر وليس العكس ! ... كانت صحبة رائعة تمنى لها الكسندر الدوام إلى الأبد ... إلى أن اكتشف سر لورا ...

ليز فيلدنغ

ولدت «ليز فيلدنغ» وترعرعت في «بيركشير» وبدأت التأليف في سن الثانية عشرة، بعد أن فازت في مسابقة كتابة الأناشيد، التي أقامتها المدرسة ـ الدير التي كانت تتلقى فيها علومها.

مرت سنوات طويلة، أطول مما تودّ هي أن تعترف به، عملت خلالها كأمينة سر في بعض بلدان إفريقيا والشرق الأوسط، ثم تزوجت ورزقت بطفلين. بعدها، استطاعت أخيراً أن تحقق طموحها وتتفرّغ للكتابة سنة ١٩٩٢.

تعيش الآن مع زوجها «جون» غربي مقاطعة «ويلز»، محاطة بالمناظر الريفية الغامضة والقصور المتداعية، راضية بأن تترك السفر لولديها وبأن تبقى على اتصال بالعالم، عن طريق الانترنيت.

يمكنكم الاتصال «بليز فيلدنغ» على الانترنيت بواسطة شركة هارلكوين على العنوان التالي: http://www.romance.net

١ ـ اختفت الأميرة

ـ طُردت من العمل؟ ماذا تعنين بطردوك من العمل؟

ـ صرفوني... استغنوا عن خدماتي... أطلقوني لأبحث عن فرص عمل أخرى... هذا ما أعنيه.

مرة أخرى!

ـ أنا أعرف ماذا تعني تلك الكلمة يا لورا. لكنني كنت أسأل عن السبب.

ـ السبب المعتاد يا جاي وهو عدم مقدرتي على التركيز على العمل، ذهني يشرد بسهولة. وباختصار، قرر مخدومي السابق أن ضرري أكثر من نفعي.

ودفعت عمة أبيها جيني، المعروفة عالمياً باسم جاي، صحناً كبيراً من الفستق نحوها وكأنها تتفهم الحاجة إلى الطعام في لحظات مماثلة.

لم تشعر لورا بالإغراء أمام هذا الصحن الكبير ما يكشف حالتها النفسية.

ـ لا بأس، ماذا فعلت هذه المرة؟

قالت العمة هذا بنبرة تشير إلى أنها غير مسرورة لأن الفتاة أخفقت، فقد استخدمت علاقاتها أكثر من مرة لكي تضع قدمي ابنة أخيها المتعثرتين على طريق النجاح في المهنة التي اختارتها.

قالت لورا: «لا شيء».

هذا بالضبط ما جعل رب عملها يطردها.

- حسناً عندما أقول (لا شيء) فهذا غير صحيح تماماً. . . فقد فعلت (شيئاً).

- فعلت غير ما هو مطلوب منك، أليس كذلك؟

- فعلت ما قد يفعله أي شخص آخر، لديه ذرّة من الانسانية.

- فهمت. لماذا لا تبدأين منذ البداية؟

- ذهبت لتغطية المظاهرة التي تنظمها مجموعة ناشطة من الكبار في السن. رئيس التحرير . . .

- تريفور ماكارثي؟ أنا أعرفه منذ لم يكن يستطيع تهجئة كلمة (محرر).

تملّك لورا السرور العميق للحظة وهي تتصور عمتها تعنّف رئيسها العنيف وهو مراسل صحفي صغير كما عنّفها اليوم قبل أن يطردها. ثم قالت: «حسناً، نعم. . . قال تريفور إنني لا أستطيع حتى أن أورّط نفسي في المتاعب».

- معنى هذا أنه ما زال أحمق، فأنت تجذبين المتاعب كالمغناطيس. يوماً ما، ستقعين على قصة هامة تُنشر في العالم كله.

- لن يحدث هذا وأنا من دون وظيفة. لكن، ومن باب الإنصاف للرجل. . .

ولم تعرف لماذا تفكر في إنصافه بعد أن طردها من العمل. . . لكنها أردفت: «. . . كان من المفترض أن تكون المهمة بسيطة وسهلة».

عندما رمقتها عمتها العجوز بنظرة حادة سارعت تقول: «كانت مهمتي تقتصر على التقاط بعض الصور للعجائز المتمردين. إنها كلماته وليست كلماتي».

- وماذا حصل؟

فأجابت بلهجة دفاعية: «لم أكن أتطلّع إلى المشاكل، بل كنت أتحدث إلى زوجين لطيفين للغاية فسألتهما عما جعلهما يخرجان في

التظاهرة بينما بإمكانهما البقاء مرتاحين في بيتهما حيث يشاهدان التلفزيون ويشربان الشاي. . .».

فسألتها عمتها جاي ساخرة: «وهل ضرباك باللوحة التي كانا يحملانها؟».

- لا. كنا منسجمين تماماً ورحنا نتحدث عن أفكار الناس المسبقة والسخيفة عن الكبار في السن. أنت التي تصرّين دوماً على أنك لن تستبدلي حقك في التفكير المستقل بمعاش التقاعد. هذا، عندما لا تكونين في أدغال مليئة بالأفاعي أو في زورق في أحد الأنهار.

فقالت العمة رافضة الابتعاد عن الموضوع الاساسي: «ولكن؟».

- لكن الرجل العجوز انهار عند قدميّ. لم يكن بإمكان تجاهل ذلك، أليس كذلك؟

وأظهر تعبير العمة أنها لن تصدر حكمها حتى تسمع مزيداً من الإيضاحات: «ما كان سبب الانهيار؟».

- حسناً، كانت زوجته مقتنعة، وكذلك أنا، بأن السبب هو نوبة قلبية.

- وطبعاً لم يكن ذلك صحيحاً.

- قال الطبيب، الذي لم يره إلا بعد ساعات، إن السبب قد يكون مجرد إثارة مفرطة. لكننا لم نكن نعرف ذلك، ولم يكن بإمكاني أن أتركه وسط الشارع؟

أظلم وجه عمتها. فعندما كانت مصورة صحفية، غطت العديد من الحروب وواجهت الكثير من المواقف المماثلة يومياً. لكنها كانت محترفة مهنياً، ولم تنس قط سبب وجودها هناك. وكانت تحصل دوماً على قصتها.

- أتصور أن تريفور ماكارثي سألك لماذا لم تستدعيا سيارة إسعاف أو تطلبا العون من شخص آخر، ثم تجرين أنت مقابلة مع شخص آخر.

- عندما تتحدثين بهذا الشكل يبدو الأمر سهلاً للغاية.

- وهو سهل، لكنني أظن أنك اضطررت للبقاء هناك، أليس كذلك؟

- سادت الفوضى، في الحقيقة. وقع حادث في ورشة بناء إذ انهار جدار...

حاول مكتب الأخبار الاتصال بها لتغطية هذا الحادث. فقد أرادوها أن تترك مظاهرة الاحتجاج لتغطي قصة انهيار الجدار. لكنها اضطرت طبعاً، لأن تقفل هاتفها الخلبوي في المستشفى. كان عليها أن تتصل بالمكتب لتخبرهم بما يحدث، لكنها كانت مصممة جداً على استكمال القصة التي بين يديها.

- كانت المرأة العجوز خائفة للغاية، فلم أستطع أن أتركها. أنت تفهمين ما أعني، أليس كذلك؟

- نعم، أفهم.

وكان معنى لهجتها أن ابنة ابن أخيها بلهاء، لكنها بلهاء لطيفة.

- بعد أن رآه الطبيب وعدت أنا إلى تلك المظاهرة، كان قد فاتني شغب صغير حصل واستدعى القبض على اثنين وثلاثين من المتظاهرين بتهمة الإخلال بالأمن.

فقالت العمة جاي: «لكنك لم تحصلي على قصة إنسانية عن ذلك الرجل الذي انهار بسبب الإثارة البالغة».

فهزت لورا كتفيها بعجز: «كلا، في الواقع».

- كلا؟ ألم تحصلي على قصة تمزّق القلب عن مشقة العيش عند ذينك الزوجين لقاء مساعدتك لهم؟

فهزت لورا كتفيها بارتباك: «يبدو أن ابنهما شخص هام في المدينة، وهو سيغضب جداً إذا ظهر اسماهما في الصحيفة».

- تعنين أنه متغطرس سيخجل إذا أدرك أن لوالديه تفكيرهما المستقل؟

- حسناً، ربما، ولكن بإمكانك أن تفهمي وجهة نظره.

وتلعثمت بسبب نظرات عمتها المتصلّبة: «وربما لا».

- رقة قلبك تضرّ بمصلحتك يا لورا.

وعندما لم تجب لورا، سألتها: «ماذا ستفعلين الآن؟».

فتنهدت وردت: «لا أدري. حسب قول تريفور، عليّ أن أنسى الصحافة كمهنة. ولعله على حق. يبدو أن قلباً متسامحاً عطوفاً كقلبي يتطلب عملاً يناسب طبعي أكثر».

وأجفلت وهي تتذكر سخريته، وتابعت تقول: «في الواقع، اقترح عليّ أن أبحث عن وظيفة مربية».

- معنى هذا أنه لم ينس تلك الحادثة مع تلك المرأة التي تركتك حاملة ابنتها واختفت.

أغمضت لورا عينيها: «أناميؤوس مني تماماً. لن أصبح صحافية أبداً».

همّت جاي بأن تقول شيئاً، لكنها غيّرت رأيها: «أنت ما زلت صغيرة وهذا كل شيء، ورقيقة القلب قليلاً».

- هذه الصفات ليست بين التي استعملها تريفور حين طردني طالباً مني أن لا أقف على عتبته مرة أخرى إلا إذا أحضرت له شيئاً يمكنه أن ينشره على الصفحة الأولى من صحيفته دون أن يجعل ذلك من الصحيفة أضحوكة.

- هل قال ذلك حقاً؟ هذا لا يبدو لي طرداً.

- لا. إن لدي واسطة. عمتي هي صديقة شخصية لصاحبة المجلة، ولهذا يحمي ظهره. ولكن فلنواجه حقيقة أنه آمن بما يكفي.

- كل ما أنت بحاجة إليه هو قصة مناسبة.

- أعيدك إلى جوابي سابقاً.

مالت جاي إلى الأمام، ورفعت ذقن الفتاة بإصبعها ترغمها على رفع بصرها: «ماذا حدث لطموحك في أن تكوني صحافية متفانية في

مبادئك؟».

منذ وعت على الحياة، وأملها هو أن تتشبه بعمتها، وترى اسمها يتصدر قصصاً هزت العالم.

ـ مثلك؟ حان الوقت للعودة إلى الواقع يا جاي. إنني لن أفعل شيئاً هاماً إذا حولني عن قصدي عجوز حلوة تريدني أن أمسك بيدها مواسية. كان عليّ أن أكون هناك اليوم، أسجّل غضب الناس الذين أصابهم الغثيان لعدم إصغاء ذوي الأمر إليهم. كان عليّ أن أكون عند ذلك البناء الذي انهار جداره، لأسأل عن مقدار الأمان فيه، وأتأكد من أن الناس يعلمون ما يدور حولهم. كان عليّ أن . . .

ـ إذا كنت تدركين ذلك، فإن نهارك لم يذهب سدى، إلا إذا كنت، طبعاً، تريدين أن تستسلمي وتكتفي بالجلوس، تنوحين على نفسك.

ـ فقط امنحيني دقيقة أتمالك فيها نفسي.

ـ ما تحتاجينه، يا فتاتي، هو قصة جيدة تقليدية. قصة عن حياة شخصية شهيرة.

ـ آه، هذا سهل.

ـ أنا لم أقل إن الأمر سهل. أنا من حاول أن يقنعك بأن تتركي الصحافة، وتجدي وظيفة مناسبة لك.

فقالت لورا عابسة: «كان أبي يتسلق الجبال، وأمي تكتب أدب الرحلات، وأنت أمضيت فترة طويلة من حياتك في مناطق الخطر والمشاكل. يبدو أن «جينات» الأسرة الوراثية أصيبت بخلل ما».

مدّت العمة يدها ولمست ذراعها بخفة فطرفت الفتاة بعينيها وابتسمت ابتسامة باهتة: «لكنني لن أكتب تحقيقاً صحفياً عن شخصية شهيرة وغنية، فهذا ليس مجالي».

ـ أنت لست في موقف يسمح لك بالاختيار يا لورا. المهم حالياً هو أن يرضى عنك رئيسك، إذا كنت تريدين حقاً أن تكوني صحافية.

ومرة أخرى، فهمت لورا إشارة عمتها المبطنة إلى أنّ الوقت قد يكون مناسباً للتخلّي عن هذه المهنة والبحث عن أخرى.

ـ طبعاً أريد!

إنها فقط لا تحب ما يفعله بعض الصحافيين. لكن جاي على حق، فهي ليست في موقف تستطيع معه الاختيار إذا أرادت استعادة وظيفتها. وعبست: «تحقيق صحفي؟ يجب أن يكون عن شخص غير لطيف على الإطلاق . . . شخص . . لا يمكن أن أشعر نحوه بالحنان والرغبة في الحماية».

فقالت جاي بجفاء ساخر: «هذا ينفع».

ثم تابعت جادة: «ينبغي أن يكون الشخص ذا قوة ونفوذ ولم يسبق أن أجرى مقابلة مع الصحافة».

تناولت مجلة شعبية كانت تقرأها عندما جاءت لورا ثم عرضتها عليها: «. . . أن يكون شخصاً كهذا».

نظرت إلى صورة الغلاف التي تمثّل رجلاً في ملابس السهرة، يضع شريطاً أزرق داكناً يحمل وساماً لافتاً. رفعت بصرها وسألت: «من هذا؟».

ـ إنه صاحب السمو الأمير الكسندر ميشيل جورج أورزينو، ولي عهد «مونتورينو».

بدا الأمير في أوائل الثلاثينات من العمر، ذا شعر كثيف أسود جعد نوعاً ما، وحاجبين أضفيا عليه مظهراً شيطانياً. وكان أطول من مرافقيه بعدة إنشات، وأسمر. لكن، فلننس الوسامة! إن ابتسامة صغيرة قد تفيده. لكن لا شيء يعوّض عن أنف تعوّد قروناً على البقاء متعالياً مزدرياً لما حوله، ما جمّد الدم في عروقها.

ـ مونتورينو! أليست هذه أحدى الإمارات الأوروبية الأسطورية الثراء؟ جبال وبحيرات ومشاهد مذهلة الجمال، وأبنية تعود إلى القرون الوسطى؟.

كانت قد قرأت مؤخراً إعلاناً عنها في ملحق صحيفة.

ـ نعم، هي نفسها، وهو وليّ العهد الذي سيحكمها ذات يوم. لذا، ما من شيء في ذلك يثير عطفك وحنانك.

ـ لا.

ليس لشعورها أيّ علاقة بالعطف.

كان يسير على سجادة حمراء فُرشت ترحيباً به، وبثقة كاملة، لعلمه أنه سيصبح حاكماً.

راحت تحدّق إلى الصورة، فخيّل إليها أن عينيه تنظران إليها مباشرة بتحدٍ، وشعرت بوخزة قلق وتوجس، ثم ما لبثت أن ألقت الصحيفة جانباً.

ـ هذه مجرد تخيلات يا جاي. لن أتمكّن من مقابلة رجل كهذا أبداً.

الحمد لله! وأجابت جاي ببراءة: «لا. حسناً، لعل تريفور على حق فالصحافة مهنة مثقلة بالمسؤوليات، والمربية الجيدة بإمكانها أن تكسب ثروة».

* * *

ـ يا صاحب السمو!

ـ ما الأمر يا كارل؟

ـ لا أريد أن أثير انزعاجك يا سيدي، لكن سموّها ليست في المنزل.

ـ أمنياتك تحققت إذن يا كارل، فأنا لم أنزعج. سموّها مستاءة لأنني رفضت أن أسمح لها بأن تذهب إلى النادي هذا المساء مع بعض رفيقاتها. ولا شك أنها مختبئة لكي تخيفنا. وما إن ترى أننا لم نخف وعدنا إلى أعمالنا، حتى تظهر مجدداً.

قال هذا ثم عاد إلى صحيفته التي كان يقرأها.

لكن تركيزه اضطرب. صحيح أنه لم ينزعج، إلا أن القلق تملكه.

فكاترينا في السابعة عشرة، وهي أصغر من أن تتزوج أو تذهب إلى النوادي، لكنها أكبر من أن تُرسل إلى فراشها كعقاب.

وشعر بالتعاطف معها. فقد كان هو نفسه في السابعة عشرة ذات يوم، وذلك منذ وقت طويل. لكنه تعوّد أن يتحمّل مسؤولياته مهما كانت غير مرغوب بها فيها. وإذا لم تتعلّم أن تتقبّل واجباتها، فلن يكون أمامه خيار آخر سوى إبعادها عن مغريات لندن وإعادتها إلى مونتوربنو لتتعلم كيف تتصرف الأميرة، وهو ما لم تستطع أمها أن تعلمه. لقد منحها هذا الوقت القصير من الحرية النسبية. ولكن إذا لم تُحسن التصرف. . .

سعل كارل بحذر، فقد أمضى في الخدمة وقتاً طويلاً جعله يجرؤ على تجاهل نفاد صبر سيده الأمير.

ـ لقد بحثنا في الأقبية والمخازن في الطابق الأعلى لكننا لم نجد الأميرة كاترينا يا سيدي.

ـ هذا لأنها لا تريدكم أن تجدوها.

فالمنزل مزدحم بقطع الأثاث وخصوصاً الجزء العلوي منه. ومراهقة ماهرة بالغة الاستياء يمكنها أن تختبىء فيه مدة أسبوع إذا شاءت، وهو لديه أمور أكثر أهمية بكثير من أن يعالج أمر فتاة تريد أن تغيظ الكبار في الأسرة. وتابع يقول: «إنها ليست من الحماقة بحيث تترك البيت من دون حارستها. وحتى لو فعلت، لما استطاعت الخروج من دون أن يراها أحد، أليس كذلك؟».

بعد لحظة تردد ضئيلة للغاية، أجاب كارل: «هذا صحيح، يا سيدي».

* * *

نهضت لورا باكراً من نوم مزعج لاحقها فيه وجه الأمير ألكسندر. كانت عيناه السوداوان تتحدياتها بغطرسة أن تجرؤ على التعامل معه. وقد تجاهلت ذلك، فلديها ما هو أفضل بكثير من أن تضيّع وقتها

على رجل ينظر إلى العالم من عليائه. وهكذا ارتدت كنزتها ثم خرجت لتركض.

بعد ذلك استحمت وأعدّت قهوة ثم أخذت تبحث في الصحيفة عن عمل، لكنها لم تجد شيئاً. على الأقل لم تجد ما هو مناسب. لكنها، من ناحية أخرى، إن ركزت رغبتها على العمل الصحافي، فستفشل حتماً في أيّ عمل آخر.

استندت إلى مرفقيها. جاي محقة! فهي بحاجة إلى قصة مشوّقة... قصة ضخمة بما يكفي لكي تقنع تريفور بأنها ليست فاشلة. ربما عليها أن تتابع قضية ذلك المبنى الذي انهار جداره.

فتحت جهاز الكمبيوتر، ثم الانترنيت وأخذت تبحث عن الشركة المسؤولة عن ذلك البناء. لكن صورة سمّوه بقيت تتطفل عليها بوضوح.

طبعاً، كان الذنب ذنب عمتها لأنها ألحت عليها بأن تأخذ معها المجلة، فسحبتها من تحت فراشها وأخذتها معها إلى المطبخ. وحدّثت نفسها بأنه سيبدو في ضوء النهار أقل خطورة بكثير من دون شك.

سكبت لنفسها فنجان قهوة ثم أخذت تحدّق إلى صورة الغلاف، وبادلها هو التحديق بالخطورة نفسها. وكلما أطالت النظر إلى ملامحه العنيدة، كلما تمنت لو تعكّر ذلك الاتزان الهادىء. ستزعزع هدوءه كما زعزع هدوءها.

وماذا يمنعها؟ يمنعها موعدها مع البنّاء.

عندما ذهبت إلى المكتبة عاد ذهنها إلى الأمير الكسندر، وأخيراً تركت البنّاء ووضعت اسم «مونتوربنو» في جهاز البحث. لكن ذلك لم ينفع كثيراً.

لقد شغلت أسرته الصحف في القرن الماضي، وبدا الأمير الكسندر مستعداً في مرحلة ما للتشبه بهم. فهو نموذج لما على أمير

عصري أن يكون عليه من كدّ واجتهاد.

يا له من مملّ!

حسناً! هذا أمر جيد بالنسبة إليها وإلى شعب «مونتوربنو». والآن، بإمكانها أن تركز أفكارها على ما هو أهم.

أتراه مملاً؟ لم تقتنع بذلك، فذلك الوجه ليس لرجل مملّ.

تابعت بحثها، وفي نهاية اليوم كانت قد جمعت ملفاً يحتوي على معلومات رسمية عن تاريخ «مونتوربنو» وعن أسرة (أورزينو) منذ العصور الوسطى، وما يكفي من الصور.

وجدت صورة لالكسندر وهو صبي صغير يمسك بيد جدّه وينظر بحسرة إلى جنازة والديه، فلامست هذه الصورة قلبها. ابتلعت ريقها وكتبت ملحوظة قصيرة عن أن والديه ماتا في حادث مركب عندما كان في السادسة، فأصبح ألكسندر وريثاً للعرش.

صوره في السنوات الثماني الماضية كانت رسمية منضبطة لا تكشف شيئاً.

ولم تكن المقالات التي تكتب عنه أفضل، بل كانت أشبه بالبيانات التي يوزّعها مكتب للعلاقات العامة. يبدو أنّ هذا الأمير العازب الذي أصبح رئيس الدولة بسبب مرض جدّه، لم يقم بسوى افتتاح المستشفيات ودعم الجمعيات الخيرية وتشجيع رقيّ دولته. وطبعاً، حين نقول (دولته) فهذا ما هي عليه بالضبط.

كانت لورا على صواب في أمر واحد، وهو أنه من الصعب مقاومة عينيه اللتين تثيران الاضطراب. إنه رجل لن يحصل أبداً على عطفها.

لذلك، لن تجد مشكلة في إبراز نقاط ضعفه، وستستمتع حقاً في إيصاله إلى القرن الواحد والعشرين وهذا واجبها.

لكنها، لسوء الحظ، لم يكن لديها فكرة عن كيفية الشروع في ذلك. عندما قالت إنها لن تحصل أبداً على مقابلة مع رجل كهذا، لم

تكن حتى قريبة من الواقع .

فسموه لا يجري مقابلات .

وما من شائعات حوله ، خصوصاً مؤخراً . قد يكون أعزب لكنه ليس شاباً عابثاً . مضت سنوات على الوقت الذي كان يتردد فيه على الكازينوهات ، ويلاحق عارضات الأزياء الشهيرات في النوادي الليلية ، ثم يقع في شرك شائعات الصحف .

كل ذلك انتهى ما إن أصيب جدّه بنوبة قلبية فأصبح هو على رأس الدولة .

لكن لا بدّ من وجود قصة إذا عرف الشخص أين يبحث عنها . فهو من لحم ودم ككل الرجال ولديه آماله ورغباته وأحلامه . وهي لا تتصور أنه يعيش كراهب .

هاتان العينان ليستا عيني راهب . وجعلتها هذه الفكرة ترتجف قليلاً قبل أن تتمالك نفسها وتذكر نفسها بأن الإشاعات التي كتبت عنه قد تكون صحيحة .

عندما قرأت كل ما وجدته ، ونقّبت قدر إمكانها خلف المظاهر ، تملكها السخط لأنّ شخصاً معروفاً مثله يمكنه التستر على حياته الخاصة إلى هذا الحد .

تنقيبها ذاك أثار فيها حب الاستطلاع وإن لم يرض فضولها ، وبدلاً من أن يجيب عن أسئلتها أثار المزيد منها .

ما الذي يتوّج قائمة رغبات هذا الرجل الذي يملك كل شيء؟ وأي مكان يحتل الحب في حياته؟ بالنسبة إلى رجل يحرّكه الواجب ، يبدو غريباً ألا يفعل المتوقّع منه ، فيتزوج امرأة ارستقراطية مناسبة ليضمن وريثاً للعرش . أم أنه لم يجد بعد من تماثله كمالاً؟؟

في النهاية ، حفزها للعمل علمها بأن من يحطم الواجهة الثلجية الظاهرة ليكشف عن الرجل الحقيقي ، سيكون الصحفي الأفضل وكل الأخطاء الماضية ستُغفر له .

من المؤكد أن الكمال البادي عليه هو ظاهري فقط ، فما من رجل بهذا الكمال .

إنها فرصتها الأخيرة لكي تخلّص نفسها ، وهي مدينة بها لعمتها ، بالإضافة إلى وخزة القلق التي أثارتها فيها عيناه اللتان كانتا تنظران إليها من على غلاف المجلة ، وكأنهما تعيّرانها بفشلها .

ولكن هذا كلام لا معنى له ، فهو لم يكن يعيّرُها .

لعله كلام فارغ ، لكنها في المساء التالي وقفت أمام مسكنه الرسمي الفخم في لندن ، وراحت تحدق إلى النوافذ الطويلة للطابق الأول وهي تتساءل عما يفعله هناك .

أتراه يعيش طبقاً لتصورات شعبه ، فيسهر الليل في تصريف شؤون دولته؟ أم يتابع الرياضة على شاشة التلفزيون ، رافعاً قدميه فيما عشاءه على صينية بجانبه ليتغذّى بعد نهار عمل شاق؟ الأفضل بالنسبة إلى مهنتها ، هو أن يكون في ضيافته شابة جميلة .

لطالما كان حب الملوك خبراً هاماً . وإذا ما أفشت تلك القصة فستصبح بطلة في الصحافة بين ليلة وضحاها . وإن كان هذا لا يعني أن الشابة الجميلة ستدخل المنزل من الباب الأمامي فيراها الكل . قد تدخل من الباب الخلفي ، بعيداً عن الأعين المتطفّلة .

عبرت الشارع لتتمكن من تفحّص المكان ، وقد اختلقت قصة وحفظتها عن ظهر قلب لتقولها في حالة صادفت أيّ رجل أمن . وعندما ترددت عند مدخل الزقاق المبلط ، متسائلة عما يجعلها تفعل ذلك ، سمعت صوت شيء يسقط أمامها ، إنه كيس صغير . . .

رفعت بصرها . شيء ما داكن يتحرك على جدار المبنى . لكنه ، لم يكن شيئاً بل إنساناً .

مستحيل أن تغادر حبيبة الأمير المنزل على ماسورة المياه . لا بد أنه لص يهرب بأوراق الدولة أو مجوهراتها! جنح بها الخيال فدخلت الزقاق من دون التفكير بسلامتها ، ورمت بنفسها على ذلك الشبح الذي

قفز بخفة إلى الأرض فأمسكت به.

اصطدما بالأرض الحجرية، وتقطّعت أنفاس لورا فلم تستطع أن تصرخ طلباً للنجدة كما كانت تنوي. كما أن اللص كان يحدث من الضجيج ما يكفيهما هما الاثنين، إلاّ أنه لم يبدُ لصاً عادياً مع هذا الصوت الحاد.

كان اللص فتاة نحيلة القد وصغيرة للغاية. وعندما أضاءت وجهها أنوار سيارة مارة، أدركت أنها ليست فتاة عادية. فقد سبق لها أن رأت هذا الوجه أثناء تفتيشها عن أخبار الأمير. إنها صغرى بنات أخته، الأميرة كاترينا فيكتوريا أليزابيث. قالت: «آه يا للحلاوة!».

لكن الأميرة الصغيرة كانت أقل تحكماً في طبعها فوجدت متنفساً لمشاعرها في الكلام الجارح: «أظنك فكرة الكسندر عن كلب الحراسة!؟».

ـ الكسندر؟ تعنين سمّو الأمير... حسناً...

ـ سيمنحك وسام الاستحقاق لهذا. لا تستغربي، درجة ثانية!

كبحت فضولها لتسأل عن عدد درجات وسام الاستحقاق، وكسباً للوقت تصنّعت الغباء: «عفواً؟».

ـ عرفاناً بجميلك بعد أن كسرت كاحلي، فهو يضمن ألا أفعل هذا مرة أخرى قريباً.

وتأوهت ألماً.

ـ هل كسرتِ كاحلك؟

ـ لا، بل أنتِ التي فعلت ذلك عندما رميتني أرضاً.

ـ رباه، أنا آسفة جداً، لكنني ظننتك لصاً.

وزحفت على ركبتيها لكي تنظر إليها عن قرب. كانت الأميرة كاترينا تنتعل حذاءً عالي الساقين، بشكل دعامة جيدة لكاحلها المصاب، لكنه يجعل فحصه مستحيلاً. سألتها: «هل أنت واثقة من أنه مكسور؟ أي منهما هو المصاب؟».

وتمنت أن تكون الإصابة مجرد التواء.

ـ وهل هذا مهم؟ إنه الكاحل الأيمن.

وحاولت أن تقف لكنها عادت وسقطت وهي تصرخ. شعرت لورا بالغثيان: «ألا يمكنك أن تقفي؟ يجب أن تدخلي...».

ـ لا يمكنني أن أقف طبعاً!

ـ وإذا ساعدتك على الوقوف؟ يمكنك أن تستندي إليّ...

ـ ألا تظنين أنك أحدثت ما يكفي من ضرر؟ اسمعي، هل لك أن تطلبي عوناً ما؟.

إنها القصة التي تنتظرها، وسحبت هاتفها الخلوي: «من الأفضل أن أستدعي سيارة إسعاف».

فرفعت الفتاة رأسها: «لا بل اذهبي إلى المنزل واسألي عن كارل. أخبريه أن كاتي أرسلتك، ولا تخبري أي شخص آخر عما حدث».

خلعت لورا سترتها وطوتها ووضعتها تحت رأس الفتاة وكتفيها: «لا أحب أن أتركك هنا وحدك».

ـ سأكون بخير، صدقيني. لن أذهب إلى أي مكان!

اجفال الفتاة عندما استلقت إلى الخلف على السترة جعل لورا تقطع اعتذارها قائلة: «أنا ذاهبة».

أمسكت الأميرة بيدها: «أحضري كارل فقط».

ثم شهقت وقد التوى وجهها ألماً: «وليس غيره! إنه يعرفني منذ كنت طفلة رضيعة، ويمكنني إقناعه بأن يخبر خالي بأنني سقطت على السلم. فلا يفترض بي أن أكون في الخارج. أتفهمين؟».

وكان في عينيها رجاء صامت.

لم تجد ذلك مفاجئاً. لو كان خروجها مسموحاً لخرجت من الطريق العادي مع حرس مناسب. على أيّ حال، ليس لديها النية في أن تخبر سموّه بأنها كسرت كاحل ابنة شقيقته.

ـ سأحضره.

قالت هذا ثم ضحكت: «شرط أن تعديني بألا تخبري أحداً بما حدث بالضبط. لا أحب فكرة مقاضاتي بتهمة الهجوم والاعتداء».

ـ اتفقنا إذن!

وأخذت الأميرة كاترين تضحك، ثم حبست أنفاسها ألماً: «أرجوك اذهبي».

لم تشأ أن تترك الأميرة لكن الإصطبلات هادئة، وهكذا ستكون آمنة لدقيقة أو اثنتين.

ـ سأغيب دقيقة واحدة فقط.

كان الجواب آهة أخرى فركضت لورا عائدة إلى الشارع ثم إلى الباب الأمامي الضخم. وضعت إصبعها على الجرس ولم ترفعه حتى فتح الباب خادم: «نعم يا آنسة؟».

سألها هذا رافعاً رأسه بكبرياء لعله استمده من الأمير، فسألته بأدب: «هل لي أن أتحدث إلى كارل؟».

دعت الله ألا يسألها عن اسم كارل الكامل؟ كان عليها أن تسأل الأميرة عنه، فهذا قد ينفع أكثر. الحق مع تريفور! إنها لا تصلح أبداً لمهنة الصحافة.

ـ من أقول له؟

ـ لا يهم من أكون، أخبره فقط من فضلك. الأمر مستعجل.

قالت هذا بإلحاح إزاء نظرة التقييم التي رمقها بها وكأنه يشير إلى أنها تخدع نفسها إذا ظنت أنه سيسمح لها باجتياز عتبة هذا البيت. ثم طالت نظرته أكثر مما يسمح به الأدب، فأضافت: «قل له إن كاتي أرسلتني».

نفعها هذا إذ فتح لها الباب على الفور وسمح لها بالدخول.

ـ أدخلي.

وكان هذا أمراً أكثر منه دعوة. دخلت وهي تهنىء نفسها على حسن حظها، لكنها لم تكد تصل إلى غرفة الحارس بجانب الباب حتى

عاد الخادم يقول: «انتظري هنا».

قلقها على الأميرة منعها من التركيز على ما حولها من أثاث قديم الطراز دقيق الزخارف، وعلى الأرض المبلطة بالرخام الأبيض والأسود، والسلم الأنيق الذي لمحته وردهة الاستقبال الفسيحة.

اختراقها دفاعات هذا الحصن الملكي لم يأخذ منها أكثر من اثنتي عشرة ساعة، وما زال أمامها المزيد في الداخل.

بعد أقل من نصف دقيقة انفتح الباب خلفها فاستدارت مستعدة لأن تروي الحادثة لخادم عجوز ضعيف للأسرة. لكنها وجدت نفسها تواجه الشيطان نفسه، صاحب الوجه الذي أصبح هاجساً لها منذ أربع وعشرين ساعة.

حتى من دون البذلة الرسمية وربطة العنق البيضاء والوشاح الأزرق لم يعترها شك في أنها أمام رجل يعلم أنه وُلد ليحكم. حتى مع ملابسه البسيطة، ما زالت تلك الهالة من السلطة تحيط به، ما جعلها تتمنى لو أنها لم تستمع إلى ابنة أخته بل التزمت برأيها واستدعت سيارة إسعاف.

ـ أين الأميرة كاترينا؟

حسناً، إنه المنطق الملكي! أي شخص عادي كان سيسأل (أين ابنة اختي)؟ أو (أين كاتي؟)، لكنهم لا ينسون الفرق بينهم وبين الآخرين أبداً، كما خطر لها.

لم يرفع الأمير ألكسندر صوته إذ لم يكن بحاجة إلى ذلك. فقد تكلم بسلطة طبيعية لم تدع لديها شك في أنه يتوقع منها أن تتكلم بسرعة وصدق وإلا ستتحمّل النتائج. وفي هذه اللحظة تحوّل عطف لورا كله إلى الأميرة. فهمت الآن لماذا حاولت أن تخفي طيش شبابها عن خالها. لكن لم يعد هناك أمل في الكتمان الآن، فقد قام الخادم بواجبه. كما أن الأميرة بحاجة إلى حنان وعناية طبية.

ـ إنها في الخارج وقد كسرت كاحلها مع الأسف.

ـ فهمت.

كان هذا كل شيء، كان رجلاً ثلجياً. . . أخبرته أن الأميرة مصابة على الرصيف فجاء جوابه هادئاً ما بعث القشعريرة في ظهرها: «أريني».

فتح الخادم لهما الباب فأشار إليها، بصمت، أن تتقدمه. كان هذا كل ما بإمكانها أن تفعله لكي تمنع نفسها من التراجع: «إنها هناك إلى يسار الإصطبلات».

قالت هذا وهو يتبعها إلى الشارع. لكن الأميرة لم تكن هناك والزقاق الجانبي كان خالياً. لقد اختفت الأميرة ومعها سترتها هي المفضلة.

* * *

٢ ـ امنحها الحرية

وقفت لورا فجأة ثم نظرت حولها باضطراب: «كانت هنا».

لعل الأميرة انتقلت إلى وضع مريح أكثر أثناء انتظارها. . . لكنها لم تكن في أي مكان في المحيط.

قالت لورا بإصرار وهي تشير إلى البقعة التي وقعتا فيها معاً على الطريق: «تركتها هنا بالضبط».

فسألها الأمير من دون اقتناع: «بكاحل مكسور؟».

ورفع بصره إلى ماسورة المياه القريبة: «من أي ارتفاع وقعت؟».

سألها ذلك من دون انتظار جوابها، فقالت: «لم تقع».

ثم سكتت. لم تشأ أن تخبره عن سبب الإصابة. كما أن ثمة أشياء أكثر أهمية تستدعي القلق، مثل ما الذي حدث للأميرة؟ منذ دقيقتين كانت حيث يقفان، مصابة لا تستطيع حتى أن تعرج إلى باب البيت، وإذا بها تختفي.

قالت: «تركتها هنا بالضبط. وضعت سترتي تحت رأسها و. . .».

فقاطعها: «وهي ليست هنا الآن».

ـ كنت على وشك أن أقول هذا. . . آه. .

ثم حدقت بذعر إلى الأمير وقالت: «لقد اختُطفت، أليس كذلك؟

كل ذلك ذنبي أنا؟».

ـ لا أظن ذلك.

لم يهتم الأمير ألكسندر لتصريحها المأساوي هذا، أو لحظّ ابنة شقيقته السيء. من الواضح انه لم يفهم ما كانت تقوله.

كان عليها أن تقرّ بغلطتها: «اسمع، رأيتها تهبط على ماسورة المياه فظننتها لصاً فأمسكت بها وأوقعتها أرضاً».

رفع حاجبيه الأسودين بخفة تكاد لا تُلحظ. فأدركت أن روايتها للخبر بهذ الشكل جعلتها غير قابلة للتصديق. ولكن بعد سكوت قصير تابعت اعترافها: «عندئذ، كسرت كاحلها. كان ذنبي أنا كما قلت. لم أشأ أن أتركها. . .».

ـ لكنها أصرّت على ذلك؟ أنا لم أكن أشير إلى لومك لنفسك، بل إلى اعتقادك بأنها اختُطفت.

ـ اسمع، لا أدري ما الذي تتحدث عنه. أخبرتني الأميرة كاترينا بأن من المفروض ألا تكون خارج البيت. وقد تفهّمت الأمر. أنت غاضب منها وهي في مشكلة. لكن هذا غير مهم الآن، لأنها اختفت وعليك أن تفعل شيئاً.

ـ آسف يا آنسة. . .

وسكت ليمنحها فرصة تعريفه بنفسها، فأكملت بسرعة وقد أخذت تشك في أن يفعل هذا الرجل شيئاً قبل أن يعرف التفاصيل بدقة.

ـ اسمي لورا فارنديل. لكنني حقاً لا أظن. . .

فمد يده مصافحاً: «وأنا الكسندر أورزينو. تشرفنا».

قالت غاضبة متجاهلة يده الممدودة: «نحن لسنا في حفلة كوكتيل، وأنا أعرف من أنت. كل ما أريد معرفته هو ماذا ستفعل للعثور على ابنة أختك؟»

ـ لا شيء طالما أنا واقف في هذا الزقاق. إذا عدت معي إلى المنزل. . .

وكان صوته بارداً جمّد الدم في عروقها. ثلج؟ أتراها كانت تظن هذا الرجل مصنوعاً من الثلج؟

ـ لا أريد العودة إلى المنزل.

ما الذي تقوله؟ ألم تكن تفكر في خطة تسمح لها بدخول منزله؟ إن عملها كله يتوقف على ذلك.

ربما، ولكن لاختفاء الأميرة كاثرين الأولوية الآن.

ـ أريدك أن تستدعي الشرطة، أو فرقة حماية الديبلوماسيين!

سألها وقد بدا أن هذه الورطة لا تزعجه: «وكيف أفعل ذلك برأيك؟».

وعندما لم تجب سألها: «هل أصرخ؟».

فتمتمت: «لا. بالطبع لا».

ثم ضحكت. كانت ضحكة خافتة لكنها غير مغفورة في هذه الظروف: «يبدو أنني لا أفكر بصفاء كاف. أنا لم أتعوّد على مثل هذه المواقف».

ـ أنت تلقيت صدمة، يا آنسة فارنديل. صدمة سوف تعتذر ابنة أختي عنها. كما أرى حقاً أن عليك أن تدخلي لترتاحي وتتمالكي نفسك.

كان شيئاً يثير الأعصاب حقاً ويدفع إلى الضحك. هذا الرجل اختُطفت ابنة أخته، ولكن كل ما يهمه هو أن فتاة غريبة عنه ربما تعاني من صدمة صغيرة.

ولماذا تتذمر هي؟

لقد نالت ما كانت تتمناه، فالأمير يدعوها إلى دخول منزله. يقدم لها سبقاً صحافياً على صينية من فضة، عن خطف الأميرة. وهذا ما تحتاجه لكي تعود إلى عملها مع ماكارثي. أقل ما عليها أن تفعله الآن هو أن تشكره بطريقة رقيقة للغاية ثم تدع سمّوه يقودها إلى الداخل وبهذا تتمكن من أن تقوم بتحرياتها مرتاحة، فيما تتمالك نفسها ببطء.

www.elromancia.com

قالت بقدر ما أمكنها من رقة: «شكراً. يبدو فعلاً أنني أرتجف قليلاً».

وما بدأ كتمثيل ما لبث أن أصبح حقيقة عندما أمسك الأمير بمرفقها وأدارها بحزم نحو الباب الأمامي، ورغم ما بدت عليه دعوته من لباقة ومراعاة، إلا أنه بدا من سلوكه أن ليست لديه النية في أن يتركها ترحل قبل أن يستخلص منها المعلومات عن دورها في اختفاء إبنة أخته.

ابتلعت ريقها. لكنها ذكرت نفسها بأن القصة ستكون رائعة عندما يطلق سراحها.

عندما وصلا إلى المدخل، توقف ونظر إليها وقد قطب حاجبيه قليلاً، وللحظة، ظنت أنّ هاتين العينين السوداوين يمكنهما أن تنفذا إلى أعماقها وتعرفا ما تفكر فيه.

قال: «لقد خدشت وجنتك، يا آنسة فارنديل».

وعندما رفعت يدها بحركة غريزية لتتفحصها، أمسك بمعصمها يمنعها: «وأصابعك أيضاً».

ـ هذا غير مهم.

قالت هذا بشكل آليّ، فقد تعلّمت في مدرستها الداخلية الراقية أن السيدة المهذبة لا تنفعل بسبب أمر تافه.

ولحسن الحظ، تجاهل الكسندر أورزينو صبرها وتمالكها لنفسها، وقال بلهجة مستبدة: «سأجد من يقوم بما يلزم».

توقف ليتحدث باختصار إلى الخادم بلهجة مونتوربنية فلم يستطع ذهنها أن يستوعب الكلام بسرعة.

انحنى الخادم ثم تراجع، بينما تابع الأمير ألكسندر طريقه معها نحو السلم من دون كلمة أخرى.

كان من المفروض أن تنظر حولها، وأن تسجل الملاحظات في ذهنها، لكنها كانت منزعجة إلى حد حبست معه أنفاسها.

كان الرجل محقاً، لا بد أنها مصدومة. وهذا يفسر هذا الشعور الغريب بأنها في موقع أوبريت حيث البلاط الرخامي اللامع والثريات الضخمة، والرجل الرفيع المقام الذي يرتدي بذلة سهرة سوداء.

أضف إلى ذلك أميراً بارد القلب وفتاة ريفية وأميرة مفقودة... فهذه كلها العناصر المطلوبة لحكاية خرافية.

كانت الملابس غير مناسبة، فالفتيات القرويات يرتدين التنانير المكشكشة والقمصان المطرزة، بينما كانت هي تلبس بنطلوناً عملياً.

كما أن الأمير، بقميصه المفتوح عند العنق وكنزته الكشمير، لم يلتزم بالمعايير. ماذا جرى؟ ألا يلبس للعشاء؟ وأين مستواه؟

تحكّمت في انفعالها عندما فتح باباً ودعاها إلى غرفة تملأ الكتب جدرانها.

وهنا، تبخرت الزخارف وعادا إلى القرن الواحد والعشرين. أجهزة كومبيوتر، أريكتان كبيرتان، ومكتب والكثير من الأوراق. لكن لا بد أنّ إدارة دولة صغيرة تتطلب الكثير من الأعمال المكتبية، وشعرت للحظة بشيء من العطف على هذا الرجل. لا وقت لديه ليشاهد التلفزيون، أو لفتاة جميلة.

ـ أتريدين فنجاناً من الشاي؟

عادت بأفكارها إليه: «ماذا؟ أظن أن مصلحة الأميرة أهم حالياً. ما الذي ستفعله للعثور عليها؟».

سألته بأدب فأجاب: «لا شيء، فأنا أعلم أين هي. ارتاحي يا آنسة فارنديل».

وأشار إلى إحدى الأريكتين.

ـ تعلم أين هي؟

ـ أعلم بالضبط إلى أين ذهبت. أرادت ابنة أختي أن تذهب إلى النادي مع بعض الأصدقاء فرفضت السماح لها بذلك. إنها قاصر، وقد

أرسلت من يحرسها ويعيدها إلى البيت.

فحملقت فيه: «هل أنت مجنون؟ ألم تسمعني؟ إن كاحلها مكسور!».

ـ هل أنت واثقة تماماً من ذلك؟ هل رأيته بنفسك؟.

نطرفت بعينيها: «رأيت ماذا؟».

ـ كاحل الأميرة كاترينا؟

ـ لا، فقد كانت تنتعل حذاءً عالي الساقين لكنها قالت...

قالت إنه مكسور، وتأوهت. جلست لورا على الأريكة وقد أدركت أنها استُغفلت مرة أخرى: «تعني أنها تظاهرت بذلك لكي تتخلص مني وتهرب».

ـ هذا الاحتمال مرجّح أكثر من الخطف، أليس كذلك؟

هذا يفسر لماذا أصرّت الأميرة على أن تبقى وحدها في الزقاق بدلاً من العودة إلى البيت.

وسألته: «كيف تأكدت من ذلك؟».

رفع حاجبه بخفة بالغة وهو يسكب الشاي، فقالت: «فهمت. لا بد أنها فعلت ذلك من قبل».

ـ ليس كاترينا وإلا لما نجحت مرتين.

ـ كيف عرفت إذن..؟

وتجلّت لها الحقيقة فأدركت أن الأميرة ليست أول شخص في قصر أورزينو الملكي يحاول نيل بعض الحرية. ولعل الأمير ألكسندر فعل ذلك عندما كان شاباً. وقال معترفاً: «إنها لا تشبه أمها من حيث الشكل فقط، بل يبدو أنها ورثت عنها استقلاليتها. أعتذر لك من كل قلبي للخوف الذي تعرضت له يا آنسة فارنديل. وابنة أختي ستقدم اعتذارها لك لاحقاً».

في الأحوال العادية، كانت لتطلب أن يناديها باسمها الأول لورا، لكن تمسّكه بالرسميات جعل التفكير في ذلك غير ممكن.

ـ هذا غير مهم. المهم أنها ليست في خطر. وحارسها ذاك، لن يسحبها خارج النادي، أليس كذلك؟

وتصوّرت ما ستشعر به الفتاة من إذلال، فأضافت: «سيزيد هذا من استيائها... آسفة، هذا ليس من شأني».

ـ لا، ليس من شأنك.

ثم أضاف بشيء من الرقة: «أعذريني لقولي هذا إلا أنه من الغريب أن تفترضي أن حارسها رجل».

ها قد تشقق الثلج! إنه أكثر جاذبية عندما يبتسم، فهو يبدو إنساناً تقريباً.

واتسعت ابتسامته وهو يرى الارتباك على وجهها: «هل ظننت حقاً أنني سأرسل حارساً ببذلة عسكرية ليقتحم المكان ويجرّها إلى البيت؟ لعلي غول، وابنة أختي تظن هذا بكل تأكيد... يا آنسة فارنديل، لكنني كنت ذات يوم غولاً فتياً لديه مشاكله مع القوانين».

ـ لكنك ما زلت تريدها أن تعود إلى البيت.

ـ بكل تأكيد. هل لديك اعتراض؟

ـ هذا ليس بيني لأعترض. لكنني أعتقد أن جعل الفتاة أضحوكة أمام الناس لن يحسّن الأمور.

ـ هل تقترحين أن أسمح لها بالبقاء لبعض الوقت مع مرافقة مناسبة؟

ـ مرافقة؟ أنا واثقة من أنها ستفضل العودة إلى بيتها على أن تخضع لهذا. يا للفتاة المسكينة!

فقال وقد اختفت ابتسامته: «ليست مسكينة تماماً».

ـ ثمة أسباب عديدة ليكون المرء مسكيناً.

تمتمت بذلك ولكن صوتها لم يكن خافتاً تماماً فرفع حاجبيه بما يدل على أنه لم يتعود التحقيق معه. سألها: «هل تعنين بالمرء المسكين من يفتقر إلى العاطفة؟».

ـ لم أقصد ذلك تحديداً.

ـ بل أظن أنك فعلت.

إنه بارد إنما فطن. لم ينتظر منها اعترافاً بذلك، بل حمل هاتفه وأجرى اتصالاً قصيراً قبل أن يعود فينظر إليها. كانت تحبس أنفاسها، لكن ملامحه لم تنبئها بأنه سيأمر بطردها.

وتابع حديثه معها وكأنما لم تحصل أيّ مقاطعة: «والآن، أخبريني عما تقترحينه يا آنسة فارنديل».

جف فمها. إن إلقاء محاضرة عليه عن أحسن طريقة لتربية ابنة أخته، لن يجعلها تنال المقابلة المنشودة، لكن قد يمنحها ما يمكن الاستشهاد به.

إذا استفزته بما يكفي، فقد تنفرد بقصة تتلهف الصحف للحصول عليها. وسيكون على ماكارثي أن يقف في الصف.

ـ حسناً؟

حسناً، ولما لا ما دام يطلب ذلك بنفسه؟ أقل ما يمكنها فعله هو أن تطلع الأمير على ما استفادته من تجربتها.

ـ يحتاج الشبان إلى اختبار أحوال العالم بأنفسهم وبهذا يتعلمون من أخطائهم، ويكتشفون الحدود الآمنة. أما تركهم ملفوفين بالقطن فيجعلهم ضعفاء.

بقي وجهه من دون تعبير، ولم تجد أي أثر لتلك الابتسامة. فابتلعت ريقها متوترة: «في ما بعد».

ـ هل تتحدثين عن خبرة شخصية؟

فقالت مراوغة: «حسناً، أنا شابة».

ثم أدركت أن الأميرة قد تعتبر أنها تجاوزت عمر الشباب بما أنها في الرابعة والعشرين، فعادت تقول: «حسناً، ما زلت شابة بما يكفي لأتذكر نفسي في سن كاتي».

لا يعني هذا أنّ أبويها كانا يحدّان من حريتها، لكن المدرسة

أسوأ. فلا أحد يتفهم الطالب، بل تُلقى عليه محاضرة عن حسن السلوك، ليحتجز بعدئذ مدة أسبوع.

ـ أشكرك على نصيحتك. لكنني أفضّل ألا تقترف ابنة أختي أخطاءها وهي تحت رعايتي. يمكنها أن تعود إلى مونتورينو لتكمل تعليمها.

ـ ألا تظن أنّ في هذا شيئاً من القساوة؟ الطرد بعد غلطة واحدة؟

بدا الحزن على فمه. ثم أحنى رأسه باختصار وقال: «ربما في ذلك قساوة. ولكن هذه الأسرة زوّدت صحف أوروبا بما يكفي من الفضائح ولا أريد رؤية صورة كاترينا وهي لا تزال قاصراً في صحفكم».

جفّ حلقها بينما تابع يقول: «لا أظن أن الصحافة البريطانية أسوأ من الصحف في أي مكان آخر، لكنها تحسن استغلال قصة كهذه».

كان يتحدث بشكل عام. ومضت لحظة خفّ فيها خفقان قلبها: «نعم، فهمت. لكن لم أرَ مصوراً صحفياً في الخارج عندما اندفعت بذلك الشكل».

لم يبد عليه أنه لاحظ تهكمها، لكن شفته العليا كانت متصلبة.

ـ هؤلاء المصوّرون يكثرون حين يتوقعون شيئاً ما. إذا شاع أمر هرب كاترين اليوم بين الناس فسيتجمعون أمام البيت.

ـ من المؤكد أن هذا الأمر لن يشيع بين الناس إلا إذا تم تقييدها؟

ـ أتعتقدين أني إن لم أشد قيودها فلن يلاحظها أحد؟

ـ حسناً، لم تكن تضع على رأسها تاج الأميرات.

ـ لكنك عرفتها.

عليها أن تفكر في مخرج: «عرفتها لأنها كانت خارجة من مسكنك الرسمي».

رفع حاجبيه متسائلاً كيف عرفت مسكنه فسارعت تقول: «رأيت العلم. وما كنت لأعرفها لو رأيتها في الطريق».

ـ أحقاً؟

ـ في ملابسها السوداء، وبشعرها المشعث، لا تبدو كما يتصوّر الناس الأميرات.

ـ ومع ذلك، سن السابعة عشرة خطرة جداً.

قال هذا بثقة رجل يتذكر جيداً مدى خطورتها. وتابع يقول: «ولهذا السبب سأرسلها إلى الوطن».

ـ إنها سن خطرة أينما عاش الإنسان. أم أن الفتيات في «مونتورينو» مختلفات؟

وقابلت نظراته الباردة بمثلها، ثم أضافت بشيء من الوقاحة: «يا سيدي».

ـ لا أعلم، لكنني متأكد من أنها ستلقى الاحترام اللازم.

ـ في السابعة عشرة لا تحتاج إلى الاحترام، بل إلى المرح... لا يمكنك أن تسجنها في قفص من ذهب إلى الأبد. حاول ذلك وستهرب مع أول دجّال حسن المظهر.

وبعد فوات الأوان، تذكرت لورا أن أخته فعلت شيئاً كهذا.

تعالى الطرق على الباب فتمسكت بهذه الفرصة لتضبط لسانها، بينما بقي الأمير يتأملها لحظة بدت لها دهراً قبل أن يلتفت إلى الباب ويزعق: «أدخل».

انفتح الباب وظهرت خادمة صغيرة تحمل صندوق إسعافات أولية على صينية فضية. أحنت رأسها قبل أن تضع الصينية على المنضدة أمام لورا وهي تقول متوترة: «عفواً، أنت سوف.. أنا سوف؟».

ابتسمت لها لورا مشجعة، لكن الخادمة بدت أكثر خجلاً من أن تتجاوب معها. حملت الصندوق وحاولت أن تفتحه بيدين ترتجفان بشكل ملحوظ، فاستعصى عليها الأمر في البداية. لكن عندما جذبته بقوة، انفتح بعنف فتناثرت محتوياته على المنضدة والأرض.

مضت لحظة جمود قبل أن تصدر عن الخادمة صرخة معذّبة ثم تفرّ

هاربة من الغرفة.

فسأل الأمير: «لا أدري ما الذي يجعل هؤلاء الفتيات الحمقاوات يتصرفن وكأنني سأضربهن؟».

فقالت لورا بلهجة لاذعة وهي تجمع محتويات الصندوق: «لا أرى هذا. الأفضل أن تعيدها إلى الوطن مع الأميرة كاترينا..».

ـ دعي هذا.

ورفع يده بحركة تحمل السخط والرجاء معاً: «المعذرة، لم أقصد أن أصرخ بك».

أدركت متأخرة أنه كان قلقاً على كاترينا. فخلف مظهره القاسي ذاك كان كأيّ رجل آخر يتملكه القلق على مراهقة طائشة في عهدته.

وتذكّرت بعض تصرفاتها الجنونية، فشعرت بموجة خطرة من التعاطف معه كبحتها من دون رحمة. إنه ليس بحاجة إلى عطفها. لقد اختارته عمتها جاي كهدف لأنه يفتقر إلى الصفات التي تثير التعاطف.

فقالت وهي تتابع جمع محتويات الصندوق متجاهلة طلبه: «أنا واثقة من أنها ستكون على ما يرام».

انحنى يساعدها وهو يجيب: «أحقاً؟ الأمر ليس سهلاً».

سألته وهي تحبس أنفاسها عندما احتك كتفه بكتفها: «لأنك مسؤول عنها؟».

ـ بل لأنها صغيرة ومحط للأنظار ولديها كل الأخطاء التي قد تثير الأقاويل.

كان يمسك بيده كيساً يحوي مادة مطهّرة فأخذ ينظر إليه وكأنه غير واثق مما يمكنه أن يفعل به.

مدّت يدها: «هل آخذ هذا؟».

رفع بصره فرآها تنظر إليه برزانة، وقد فاضت عيناها الزرقاوان عطفاً واهتماماً. لم يكن بحاجة لاهتمامها أو لأي عون منها، فهو ليس عاجزاً. وكدليل على ذلك، سيداوي خدوشها بنفسه: «اجلسي».

www.elromancia.com

وجلس بجانبها: «هاتي يدك».

حدّقت إليه لحظة غير مصدقة، وربما لأول مرة، فعلت ما أمر به من دون كلام. كانت يدها ناعمة، يد خُلقت لتحمل الماس. لكنها كانت عارية من أي زينة ما عدا طلاء الأظافر.

أسند يدها برفق وهو يمسح أصابعها بالمطهّر.

كانت ترتجف بشكل طفيف، فشعر بأنه يودّ أن يشدّ على يدها ليطمئنها.

قال: «أخبريني يا آنسة فارنديل. هل من عادتك الإمساك باللصوص؟».

- لا أدري فأنا لم أجرب هذا الموقف من قبل. في الواقع، لقد تصرّفت من دون تفكير.

- حسناً، في هذه المناسبة، يسرني عدم تفكيرك.

قال هذا ورفع نظره إليها. وعلى الفور توقف عن التنفس وهو ينظر مباشرة إلى أعماق عينيها الكبيرتين الرزينتين: «أتعدينني بأن تبتعدي وتبلغي الشرطة في المرة القادمة، عندما ترين جريمة تُرتكب؟».

- لو فعلت هذا اليوم لما عرفت أنت بهرب ابنة أختك.

- ومع ذلك عديني.

- سأحاول.

قالت هذا وهي تضع خصلات شعرها الأشقر الباهت خلف أذنها فكشفت عن قرط ذهبي صغير بشكل نجمة: «فقط عندما تتوقف عن مناداتي آنسة فارنديل، أحبّ أن تناديني لورا».

كان يفضّل الرسميات، فبهذه الطريقة يمكنه أن يحفظ حدوده مع الناس. لكن لورا فارنديل اخترقت دفاعاته، فالذين يدخلون هذه الغرفة من الغرباء قليلون جداً.

كسباً للوقت، أخذ يبحث عن دواء آخر، قبل أن يلتفت ليواجهها. رفع ذقنها بلمسة من إصبعه، وأدار وجهها نحو الضوء. كانت عيناها

زرقاوين صافيتين، وبشرتها شفافة تقريباً. وعندما رفعت رأسها، وعاد شعرها الأشقر الباهت يلامس عنقها وجد نفسه يفكر كيف سيبدو هذا العنق وهو مزيّن بعقد من اللؤلؤ كان يوماً لأمه.

وكان هذا كافياً ليعيده إلى واقعه. شعر ببعض الإرتباك لأنها رأته يحدّق إليها، فقال: «الأمر بسيط. ما من ضرر حقيقي».

لكنه مسح خدها بشاشة رطبة ليزيل عنه بقعة من التراب: «ماذا فعلت؟».

لمعت عيناها: «أنا؟»

- تبدين على معرفة بخطر التضييق على المراهقات. هل كنت طائشة في السابعة عشرة؟

ضحكت: «فهمت. لا أظن حقاً أن عليّ أن أخبرك بذلك. أنا إلى جانب الأميرة كاترينا في هذا وأرفض أن أسيء إلى قضيتها».

- بمعنى آخر (نعم).

لم تجب فألحّ عليها: «هل هربت مرة مستخدمة مواسير المياه؟ وهل ذهبت إلى نوادٍ وحفلات منعك أبواك عنها؟».

تلاشت ابتسامتها: «لم يكن لديّ أبوان ليمنعاني فقد قُتلا عندما كنت طفلة».

فجمد: «أنا بالغ الأسف، يا لورا».

لقد مسّته أخيراً بهذا القاسم المشترك بينهما. ومرت لحظة أراد فيها أن يقول أنه يتفهّم خسارتها، وألمها. . . لكن، قبل أن يقول شيئاً سارعت تقول: «كان ذلك منذ وقت طويل. أكاد لا أعرفهما، فقد كانا مسافرين غالباً. وفجأة أصبحت في مدرسة داخلية. ولكن جواباً على سؤالك، نعم يا سمو الأمير، كنت طائشة رغم أنني لم استخدم قط مواسير المياه للهرب».

وغامت عيناها الجميلتان لحظة: «لأنني أخاف المرتفعات».

- لكنني لا أظنك تخافين من أشياء كثيرة غير هذا.

www.elromancia.com

ـ أنت مخطىء إذن، فأنا حالياً خائفة للغاية.

قالت هذا وهي تستعيد ابتسامتها وتنفض من ذهنها ما مرّ من أفكار.

نظر إليها بحيرة. كان يعلم أنها مضطربة قليلاً، لكنها بدت ظاهرياً هادئة متماسكة.

سألها: «لماذا؟ لست خائفة مني كتلك الخادمة الحمقاء».

ـ قليلاً، في الحقيقة. لأني أعلم أنك ستغضب مني.

استند إلى الخلف بدهشة: «ولماذا سأغضب منك؟».

ـ لأنني سأطلب منك أن تمنح كاترينا فرصة أخرى. عاقبها إذا شئت، لقد تصرفت بشكل أحمق طبعاً. لكن حتى الأميرات يحتجن إلى يوم إجازة، إلى فرصة يشعرن فيها أنهن فتيات عاديات.

ـ عاديات؟

ـ أعني عادية كأي فتاة في الشارع.

ـ أرجوك!

ـ هل رَكِبتَ قط باصاً أو قطار الأنفاق؟

لم يعلم ما إذا كان عليه أن يشعر بالتسلية أم بالإهانة فقال: «لم أجد ذلك ضرورياً».

ـ طبعاً، لأن سائقك تحت الطلب أربع وعشرين ساعة يومياً.

فقال شاعراً بأن خيار التسلية أسلم من خيار الشعور بالإهانة: «ليس السائق نفسه. لكن نعم، فهذا يتناسب مع عملي لأنني أنا أيضاً تحت الطلب أربع وعشرين ساعة يومياً، وسبعة أيام في الأسبوع وثلاثمئة وخمسة وستين يوماً سنوياً».

ـ ألا تأخذ يوم إجازة أبداً؟

ـ أهرب أحياناً.

كان يرتدي ملابس العمل ويذهب إلى كرمه حيث يعمل حتى يعرق: «لكن مرافقي لا يتركني أبداً».

فقالت بإخلاص ظاهر: «مسكين أنت أيضاً إذن».

فقال شاعراً فجأة بأنه لم يعد يستطيع الاستمرار في تصنّع التسلية: «تظهرينني بكلامك وكأنني محروم. لا أصدق أنك تفضلين أن تركبي قطار الأنفاق خصوصاً في ساعات الزحام، بدلاً من سيارة مع سائق خاص، لو كان لديك الخيار».

ـ ربما لا، لكنك تخسر شيئاً وهو ابتعادك عن العالم الخارجي. قد يكون قطار الأنفاق قذراً ومزدحماً، لكنه حقيقي. استعماله هو مهارة، أشبه باستعمال الهاتف العمومي...

قال مقاطعاً كلامها الفارغ: «تملك ابنة أختي هاتفاً خليوياً، وأطمئنك إلى أنها تعرف كيف تستعمله. وقد كلف ثروة صغيرة...».

فقاطعته، وهو الذي لا يقاطعه أحد: «وإذا فقدته أو سُرق منها هذا المساء مثلاً، أثناء ذهابها إلى ذلك النادي؟ إذا وقعت في متاعب، فهل بمكنها استعمال هاتف عمومي؟».

أصبحت سخيفة الآن. وسألها: «ما مدى صعوبة ذلك؟».

ـ ليس صعباً إذا كنت تعرف كيف تستعمله. ولكن افرض أنها خافت وتملكها الاضطراب والذعر؟ قد لا تجد سوى هاتف عمومي يعمل بواسطة البطاقة المدفوعة سلفاً، وهي لا تملك تلك البطاقة؟

بطاقة للهاتف؟ وما هي هذه البطاقة؟

لم يفتها تردده، وبدا عليها الرضى لإبدائها رأيها وقالت: «ربما عليك أن تجربه بنفسك وترى».

ـ لا أظنك تغريني بأن أسمح لكاترينا بمزيد من الحرية يا لورا؟

ـ امنحها الحرية وإلا ستأخذها منك. لقد كادت تفلت من العقاب اليوم، وستكون في أمان أكبر لو عرفت طريقها في أنحاء المدينة.

ـ لكنها ستحظى بالأمان في مونتورينو.

ووقف فجأة واضعاً حداً لهذه المحاضرة، إذ ليس لديها فكرة ولو بسيطة عن حياة كاترينا... أو حياته.

www.elromancia.com

كان صبوراً، لأن لورا فارنديل نبهته إلى قرار كاترينا طلباً للحرية . . . لكن هذا يكفي. واكتشف أنه ما زال يمسك بيده الدواء، الشاهد على ذلك التقارب غير المتوقع مع هذه الغريبة، فألقاه إلى الصينية وكأنه جمرة ثم قال: «كنت سخية بوقتك وبآرائك الهامة فتقبلي شكري، يا آنسة فارنديل».

وعاد إلى الرسميات مضيفاً: «لكنني لن أؤخرك أكثر. وبالرغم من حماسك للمواصلات العامة، إلا أنني سأصرّ على أن توصلك سيارتي إلى بيتك».

للحظة بدت وكأنها سترفض عرضه هذا بازدراء، لكنها لم تفعل. وبدلاً من ذلك وقفت: «شكراً يا صاحب السمّو. لكن هذا ليس ضرورياً. لديّ مواصلاتي».

ستوصلها قدماها إلى أقرب موقف للباصات. آخر ما تريده هو أن يعرف سمّوه أين تسكن. ثم عندما وصلت إلى الباب التفتت إليه: «هل لك أن تتصل بي وتخبرني بوصول الأميرة بأمان؟ لا يهم مهما تأخرت، فأنا لن أستطيع النوم قبل أن أعرف».

ـ طبعاً.

ـ سأترك رقم هاتفي مع الخادم.

قاوم دافعاً يحثه على أن يسألها أن تتركه معه: «سيرافقك الخادم إلى سيارتك».

ـ لا حاجة لذلك فأنا لست أميرة يا صاحب السمّو وأعرف كيف أهتم بنفسي.

***

٣ ـ زيارة ملكية

جلست لورا إلى مكتبها، وفتحت جهاز الكمبيوتر. كل ما عليها أن تفعله هو أن ترسل ملاحظة قصيرة إلى تريفور تسأله فيها إن كان يهمه أن تنفرد صحيفته بنشر يوميات أميرة مدللة عنيدة تفادت حتى الآن اهتمام الصحافة، ومواجهتها مع الأمير الأقل سحراً مما هو عليه في الحكايات؟

لن يتمكن تريفور من مقاومة ذلك.

وحدثت نفسها بأن القصة ستصبح أفضل إن كان البطل هو الأمير نفسه الذي شوهد وهو ينزل ماسورة المياه من منزل غير منزله.

حاولت ألاّ تصغي إلى صوت ضميرها وهو يذكرها بأن الأمير ألكسندر لا يرغب في ظهور صورة كاترينا في الصحف.

لكنها لن تنشر أيّ صور، حتى أنها لن تذكر الأسماء. ولكن هذا لا يعني أن ثمة شك في الهوية. أيام كاترينا التي كانت تهرب مستخدمة ماسورة المياه من دون أن تراها الصحافة، ستنتهي.

وهذا، بالتأكيد، سيمنح صاحب السمّو مبرراً لإعادة الفتاة إلى «مونتورينو».

تصرفها هذا سيكون في مصلحته. وهو، على الأقل، يجب أن يشكرها.

لكنها لن تنتظر متلهفة، شكراً منه لا يغني، لأنها لا تريد ذلك.

جلّ ما أرادته هو اتصال هاتفي يعلمها به بعودة الفتاة آمنة إلى

المنزل. عندئذ، يمكنها أن ترسل القصة ثم تأوي إلى فراشها مطمئنة عالمة بأن تريفور سيتصل بها غداً ليعرض عليها العودة إلى وظيفتها.

* * *

تحدث ألكسندر إلى الشخص المكلف برعاية كاتي، وبعد أن اطمأن إلى أن ابنة أخته في أمان، أعطى أوامر إذا ما ذهبت مع أصدقائها، إلى مكان آمن لن يخرقوا فيه القانون، بأن لا حاجة بها إلى العودة إلى البيت مبكراً. لم يكن لهذا علاقة بلورا فارنديل وتوسلاتها. لعل كاتي ليست كبيرة بما يكفي لتذهب إلى النوادي، لكنها لم تعد طفلة حسب قول مرافقتها، لكي يعاملها وكأنها مصدر للمشاكل.

وهكذا، عندما قارن ضرر تأخرها ساعة أو اثنتين بما سيحدث لو أنها قررت عصيانه أمام الجميع، اختار الأول وعاد إلى ما كان عليه قبل تلك المقاطعة.

وجد صعوبة غير عادية في التركيز على صحافة وطنه، فوجه لورا فارنديل الباسم باستحسان لقراره هذا لم يفارق ذهنه. وبما أن استحسانها لا يهمه مثقال ذرة فقد حاول جهده ليبعدها عن تفكيره، رغم أن هذا جعل تركيزه على عمله صعباً. وبقي على حاله إلى حين عودة كاترينا آخر الليل وعيناها تتألقان غير عابئة بنتيجة تصرفاتها.

- آسفة، يا كساندر..

قالت هذا وهي تدور بحركة مسرحية قبل أن تطبع قبلة على قمة رأسه، كما لو أنه جدها، ما جعله يشعر وكأنه بالسن نفسها تقريباً.

أضافت وهي ترتمي على الأريكة، وترفع قدميها على المنضدة: «رباه! إذا كنت أنا كاترينا، فأنا في ورطة. هل سترسلني إلى الوطن في أول طائرة غداً صباحاً؟».

- بل هذا الصباح. حالما تتصلين بالآنسة فارنديل لتعتذري منها بسبب الخوف الذي سببته لها عند اختفائك.

- الآنسة فارنديل؟

- الشابة التي ظننتك لصاً.

- أنا أخفتها؟ هي التي أخافتني حتى الموت.

- هيا اعتذري منها، فقد استحقت شكري.

- أراهن على ذلك. أخبرتها أنك ستمنحها وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية، كمكافأة على منعي من الحركة.

- ليتها فعلت ذلك بشكل أفضل، لوفرت عليك الإزعاج.

- أرجو ألا تكون قد خيبت أملها؟

- شكرتها، وقدمت لها الإسعافات الأولية، ليس إلاّ.

- هذا استهانة منك بعملها. لن تعيدني إلى الوطن، أليس كذلك؟

- تصبحين على خير يا كاترينا.

- فهمت. تريدني أن أبقى قلقة وخائفة.

ولم يبد عليها الاهتمام وهي تقف لتضيف: «تصبح على خير يا صاحب السمو».

وانحنت له برشاقة غريبة، وقد بدا عليها الرضى لأنها أغاظته.

نظر إليها وهي تخرج، كابحاً ابتسامته. وعندما غابت عن نظره، رفع سماعة الهاتف.

كانت مجلة «المشاهير» مفتوحة أمام لورا وهي تنتظر الاتصال. راحت تتفحص صورة الأمير وتقارنها بالحقيقة. له عينان لا يمكن تصديق جمالهما، فهما سوداوان عميقتان كبحيرات جبل «مونتورينو» وباردتان مثلها تقريباً. إلاّ عندما أمسك بوجهها حين نظف الخدش في خدها، عندئذ فقط، صدقت أن بإمكانه أن يكون إنساناً حقيقياً إذا شاء.

حدثت نفسها بأنها مسرورة لأنه لم يشأ أن يظهر حقيقته. إذ راودها شعور غير مريح بأنها قد تجد خلف صرامته رجلاً من السهل أن يعجبها وتألفه فيما هي لا تريد ذلك.

كان مستقبلها بأكمله يتوقف على ألاّ تشعر نحوه بأي مودة. التفتت إلى الهاتف الخلوي بقربها وأمرته: «رن. هل لك أن ترن؟».

وأجفلت عندما استجاب الهاتف على الفور. . . رنينه الخافت دوى عالياً في سكون الليل. لا بد أن هذا هو سبب ارتجافها وسبب توهج وجنتيها. تنفست بعمق وردّت: «لورا فارنديل».

ـ آنسة فارنديل. طلب مني الأمير ألكسندر أن أخبرك أن سمّو الأميرة كاترينا عادت سالمة.

تنفست الصعداء، لأن كل شيء توقف للحظة عن الحركة في حين أن المتصل هو الخادم! ولقد طلب منه ذلك المضحك المتغطرس أن يتصل بها بعد أن بدأت تعتقد أن خلف ذلك المظهر الجامد إنساناً حقيقياً.

ـ أرجو أن تشكر سمّوه.

أجابته بذلك وهي تصرف بأسنانها، ثم التفتت إلى الكمبيوتر والملاحظة التي سترسلها إلى تريفور ماكارثي. وضغطت زر (الإرسال).

أسند ألكسندر ظهره إلى الخلف، متجاهلاً كومة الأوراق التي ما زالت تنتظر الإنجاز قبل النوم. وقد ندم لأنه لم يتصل بلورا بنفسه لكي يخبرها بوصول كاترينا سالمة.

لكنه عاد فنبذ هذه الفكرة.

مجرد رغبته في ذلك تكفي كيلا يتصل. ومع ذلك كان في صراحتها شيء منعش للغاية، فهي لا تخاف من إبداء رأيها. لقد تعب من الناس الذين لا يقولون إلا ما يريد سماعه، والناس الذين يوافقونه الرأي من دون سؤال.

لم تخف لورا منه، كما أنها لم تحاول التأثير فيه. ولو منحها فرصة لقالت له من دون شك إن خوف المستخدمين منه ذنبه هو.

أسند رأسه إلى الخلف وأراح أصابعه المتوترة قليلاً، لكنه عاد يفكر بعنف في أنها لا تملك فكرة عن حياته. يا لها من فتاة حسنة الحظ!

لكن هذا لا يهم. فقد كانت تستحق أن يستمع إليها مهما بدت آراؤها سخيفة، حتى انحيازها إلى كاترينا وحقها في شيء من الحرية التي تتمتع بها الفتيات اللاتي في سنها.

وكأنه يشعر بلذة خاصة في منع ابنة أخته من الانطلاق على هواها! كانت الفتاة في لندن لتتابع دراستها لا لتذهب إلى الحفلات. لكن سرعان ما ستتدخل الصحافة لتغذي حماسها، فالعيون المتلهّفة تراقب، وتنتظر منها زلّة قدم.

الفتيات العاديات يمكنهن أن يفلتن من نتيجة خروجهن على التقاليد، لكن كاترينا ليست فتاة عادية. وهو يريدها أن تكون ناضجة بما يكفي لكي تواجه تلك الضغوط قبل أن تصبح محطاً للأنظار.

لم يشك في أن نيّة لورا طيبة. ولكن فكرة التحرر مؤقتاً من وضعها كأميرة، فكرة سخيفة. وكأن ثمة تحرر مؤقت، إنه حكم مؤبد. . .

لكنه غير مضطر إلى تبرئة نفسه أمام غريبة عابرة سبيل ذات إحساس مفرط بالواجب، رغم أن صوتها يفيض بالضحك والاستمتاع بالحياة. شعر لحظة، وهو يجلس إلى جانبها، أنّ بإمكانه أن يمد يديه ليأخذها بين ذراعيه.

يا للسخافة! وتناول الملف التالي الذي ينتظره.

ستتصل بها كاتي غداً لتعتذر، وسترسل لها هدية مناسبة كتذكار. ثمة قطع مجوهرات صغيرة عليها شعار «مونتورينو» لمثل هذه المناسبات.

(حصص الحليب) . . . قرأ عنوان التقرير الذي أمامه بصوت مرتفع مرغماً نفسه على تركيز اهتمامه على الأمر الذي بين يديه. ومرّ بيده على وجهه ليستطيع البقاء مستيقظاً.

فلينس كاترينا! . . إنه بحاجة إلى يوم إجازة. لكن هذا لن يحدث! إنه في لندن ليرفع علم بلاده ويثير الاهتمام بمونتورينو في مجال السياحة، وليوقّع عقوداً تجارية.

وأثناء وجوده في لندن يمكنه أن يراقب كاترينا التي تقيم في لندن مدة ثلاثة أشهر في تبادل للطلاب.

وشغله هذا الأمر أيضاً. لقد أنهت لتوّها أسبوعها الأول ومع ذلك وقعت في مشكلة. ولولا حضور ذهن لورا فارنديل التي نبّهته إلى هرب كاترينا. . . تجمّد دمه في عروقه وهو يتصورها تنزل ماسورة الماء. ماذا لو سقطت. . .

ترك التقرير، وقطب جبينه متسائلاً عما يجعلها تخاف من المرتفعات. وأخيراً، قرر ترك ملفاته والتوجه إلى سريره.

قرر وهو يُطفىء النور أنه لن يقدم لها «بروش»، فالشابات لا يضعن بروش بل ستضعه في درج وتنسى أمره. وفي الواقع لن يكون هذا أمراً سيئاً.

ولو كان مكانها لفعل الشيء نفسه.

ـ لورا؟

وضعت لورا الهاتف تحت ذقنها لتنظر إلى الساعة ثم عادت تستلقي على ظهرها بآهة مكتومة. لقد أمضت ليلة أخرى كان نومها فيها قلقاً مليئاً بأحلام رأت فيها عينين سوداوين باردتين تلتهبان حرارة، ويدين رقيقتين. . .

قاطع صوت تريفور ماكارثي أفكارها الناعسة، ليعيدها إلى الواقع: «هل أيقظتك؟»

وكان هذا صحيحاً لأنها لم تنم إلا بعد أن سمعت زقزقة الطيور.

ـ وصلتني رسالتك عبر الانترنيت.

قالت وهي تعجب لعدم بهجتها لإسراعه في الاتصال بها: «عظيم».

ـ أخبرني ما هي المفاجأة. ماذا عندك؟

لعل النوم ينقصها لكنها ليست غبية.

ـ محاولة حسنة يا تريفور، ولكن إذا أخبرتك فهل ستعيدني إلى

الوظيفة؟

ـ لا سبب يدعوني إلى ذلك. أظننا نتحدث عن الأميرة كاترينا.

جلست في سريرها وقد انتبهت تماماً: «كيف عرفت ذلك؟»

ـ خبر سيء. سبقك منافسوك. ثمة صورة في الصحيفة هذا الصباح لسمّوها الملكي وهي تدخل أحد النوادي.

هذا عظيم! اختارت كاترينا أن تخالف التقاليد في مكان تعجّ فيه الصحافة. وشعرت وكأن شخصاً ما يحاول أن يخبرها على الدوام بأنها لا تصلح لأن تكون صحفية.

ـ كان عليك أن ترسلي إليّ موضوعك الليلة الماضية بدلاً من أن تتدللي. والآن، إذا لم يكن لديك شيء آخر، فلديّ صحيفة أريدها أن تصدر. . .

ـ طبعاً لديّ شيء آخر. تلك الصورة لا تُقارن بما لديّ.

ـ أتريدين إطلاعي عما لديك؟

لم تخدعها نبرة الملل في صوته، فقصص الأسر المالكة مربحة كالذهب.

قالت: «الأمير ألكسندر؟»

ـ ماذا عنه؟

ـ أمضيت بعض الوقت معه في جناحه الخاص الليلة الماضية وتحدثت إليه.

أحست بأنها حصلت على انتباهه التام فسألته: «هل يهمك ذلك؟»

ـ هذا يتوقف على ما قاله. هل ثمة صور؟

هل يظن هذا الأحمق أن الأمير سيجلس أمامها لكي تلتقط له صوراً؟

ـ كانت تلك المقابلة بالمصادفة يا تريفور، وليس لدي كاميرا خفية.

ـ ما من مشكلة، سأرسل لك واحدة. متى يمكنك أن ترسلي لي

القصة؟

ـ متى؟

رددت ذلك لكسب الوقت. وجاءها الخلاص بشكل رنين طويل لجرس الباب: «تريفور، ثمة من يقرع جرس الباب. سأتصل بك لاحقاً».

ـ لا تزعجي نفسك إلا إذا كان لديك صور.

وضعت عليها عباءتها وتخللت شعرها المشعث بأصابعها فيما جرس الباب لا يزال يرن بإلحاح. لم يكن مظهرها يهمها، فلا شك أن الطارق هو المستأجر في الطابق العلوي وهو ممثل عاطل عن العمل يأتي ليشرب قهوتها. لم يكن عديم الصبر عادة، ولا بد أنه متلهف إلى القهوة.

كان القادم سمو الأميرة كاترين فيكتوريا اليزابيث، أميرة مونتورينو.

كانت ملابسها الليلة الماضية سوداء، وزينة وجهها تسبب الكوابيس.

أما اليوم فكانت بشرتها الناعمة من دون زينة... تقريباً، وشعرها معقوصاً إلى الخلف. كانت ترتدي ثوباً واسعاً منقوشاً بالأزهار، وتنتعل حذاءً أنيقاً. وقد اكتملت أناقتها بقرطين من اللؤلؤ، وحقيبة يد.

كانت تحمل باقة رائعة من الورود العاجية اللون كعلامة سلام وسبب لمجيئها.

ـ ملابسك أنيقة، يا سمو الأميرة.

قالت ذلك بابتسامة عريضة تعبر عن إعجاب صادق. لو أن مستقبل هذه الفتاة لم يكن مرسوماً من قبل أسرتها الملكية منذ ميلادها، لأصبحت ممثلة ممتازة. فقد ظهرت موهبتها في التمثيل الليلة الماضية عندما ادّعت أن كاحلها مكسور، وظهرت الآن مجدداً إنما بشكل

مختلف. قالت: «ما أشبهك بالممثلة الرائعة «أودري هيبورن»! يجب أن تقصي شعرك مثلها لكي تكوني أصيلة».

بادلتها الأميرة ابتسامتها الواسعة وقد سرّها هذا الاستقبال: «قال لي كساندر أن ألبس ثياباً مناسبة».

ـ لقد شاهدتِ فيلم (عطلة رومانية). خيارك جميل فهو فيلم عظيم، ولكن سامحيني إذا لم أنحني لك احتراماً فأمي أميركية وأنا جمهورية الميول بطبيعتي. هل لك أن تتفضلي بالدخول؟

دخلت الأميرة وأغلقت لورا الباب. عندئذ تنفست كاترينا بعمق: «أنا مدينة لك باعتذار، يا آنسة فارنديل. احتلت عليك بشكل خبيث الليلة الماضية، وأرجو أن تسامحيني».

قالت هذا برزانة، وهي تقدم لها باقة الأزهار. فأجابت لورا: «لقد قابلت خالك. ما من شيء يتطلب السماح. كما أتمنى أن تناديني باسمي لورا بدلاً من (آنسة فارنديل)».

ورفعت الأزهار إلى أنفها تشتم عطرها: «شكراً على هذه الازهار الجميلة. كنت أنوي تحضير القهوة، فهل ترغبين في فنجان منها؟».

بدت الدهشة والسرور على الأميرة: «أحقاً؟ ألا أزعجك؟».

ـ لا، أبداً، يا سمو الأميرة.

طمأنتها لورا. لو كان خالها هنا بدلاً منها لاختلف الأمر. وجاهدت كيلا تشعر بخيبة أمل، وعادت تقول: «توقيتك ممتاز».

وأكثر من ممتاز، فهي بحاجة إلى قصة، وبإمكان الأميرة أن تساعدها إذا ما أعطتها قصة عن إعادتها إلى الوطن بسبب هربها الليلة الماضية. أما الصور فأمر آخر، ويمكنها دوماً أن تضيف شيئاً من التهكم بجعل (الخال كساندر) في دور المتغطرس، مفسد الأفراح.

وتجاهلت سؤالاً من عقلها الباطن: وما الذي فعله لك؟.

الأمر سهل. طلب من الخادم أن يتصل بها. ما الغطرسة في ذلك؟

قالت: «تعالي معي إلى المطبخ لأضع هذه الأزهار في الماء».

ثم عادت تنظر إلى زائرتها: «آسفة. أنا حقاً لا أستطيع أن أجعل نفسي أناديك بسيدتي».

فقالت الأميرة كاترينا وهي تتخلى عن تمثيلها لدور الأميرة:

ـ لا أريد ذلك. إنه يُشعرني وكأنني أرملة أمير. أصدقائي ينادونني (كاتي).

وجاء دور لورا لتتردد وهي تدرك الخطر متأخرة. لقد شعرت بالعطف نحو هذه الشابة الصغيرة أكثر مما يلزم. ها هنا يكمن خطأها، كما حدثت نفسها. لا يمكنها أن تدع قلبها يلين...

يبدو أنها تذيع أسرار الفتاة. لقد سبق وملأت أخبارها الصحف، وستبقى تحت الأضواء طيلة الوقت الذي ستمضيه هنا والذي لن يطول إذا شاء خالها ذلك. لو أحسنت كاتي التصرف الليلة الماضية وأطاعت خالها، لما كان هناك قصة للكتابة.

قالت لها ببشاشة: «لا بأس يا كاتي. اسحبي مقعداً عالياً اجلسي عليه. أنا لست خالك. ونحن لا نستعمل الرسميات هنا».

وضعت إبريق الشاي على النار، ثم رتبت باقة الأزهار وهي تسألها: «هل غضب منك الليلة الماضية؟».

ـ بدا رزيناً وزمجر لحظة. لكنه لم يأمرني بالسفر بعد.

التفتت لورا بدهشة: «ظننت أنك ستكونين على أول طائرة متوجهة إلى «مونتورينو»».

ـ نعم، حسناً، ذلك صعب قليلاً.

لم تصدّق أن صاحب السمّو يصادف عقبات: «أحقاً؟ إذا كانت الطائرات كلها مليئة، فأنا واثقة من أنّ بإمكانه أن يجد طائرة خاصة».

ـ هذا ليس السبب. العقبة هي أنني على رأس قائمة برنامج تبادل الطلاب بين البلاد التابعة «للاتحاد الأوروبي». وإعادتي إلى بلدي لسبب مشين سيسبب فضيحة.

فكرت لورا في أنّ الأوان على الشعور بالقلق فات، فقد سبق

ووقعت الفضيحة.

هل يعني ذلك أنه أخذ برأيها، أم أن مظهرها في ملابس أودري هيبورن فعل فعله؟ لا يمكن أن يعتقد أن كاتي تعلمت الدرس وتغيرت بين ليلة وضحاها، فهو لا يبدو غبياً.

قالت كاتي: «على أيّ حال، إنني أحسن التصرف آملة أن أقنعه بأن يمنحني فرصة أخرى. لكني لن أتزحزح من مكاني حتى إشعار آخر. ما من ارتباطات عامة. من المدرسة إلى البيت، ومع مرافقة. حادثة أخرى و...».

وجرّت إصبعها على عنقها علامة الذبح.

عضت لورا شفتها لتمنع نفسها من الضحك وقالت: «ما أصعب هذا!».

ـ حسناً، لهذا جانبه المشرق. ثمة سباق ملكي الأسبوع القادم وحصان كساندر سيشارك فيه. كان سيأخذني معه. إن لديّ بذلة للمناسبة جميلة جداً لونها زهري فاتح، مع قبعة عريضة، لكنها تجعلني أبدو كنبتة الفطر.

وعبست، فضحكت لورا: «إذن، فالأخبار ليست سيئة كلها؟».

ضحكت كاتي: «كانت السهرة رائعة وليست مملة كحفلات السباق. وكانت لتبقى ممتازة لولا الصورة التي ظهرت في الصحيفة هذا الصباح. ربما كان الأمر ينتهي ببعض التوبيخ، لكن الصورة كانت آخر قشة».

فسألتها لورا ببراءة: «صورة؟»

هزت كاتي كتفيها: «أظنها ذات أهمية. جلسنا في النادي نصف ساعة فقط، لكنها كانت طويلة بما يكفي لكي يلتقط لي شخص ما صورة وأنا أعانق ميشيل».

ـ ومن هو ميشيل هذا؟.

ـ شقيق إحدى التلميذات في المدرسة. تعارفنا عندما جاء ليأخذها

إلى البيت في سيارته الرياضية.

لا عجب في أن تريفور كان بالغ الغضب منها، كما أخذت لورا تفكر. لو أبلغته بالقصة فوراً، لوضعها تحت الصورة.

ومع ذلك. . .

قطبت جبينها: «نصف ساعة. .؟ تلقيت اتصالاً يطمئنني إلى عودتك سالمة بعد وقت أطول بكثير».

ـ نعم. كساندر لم يعرف بمسألة الصورة لحسن الحظ. وهكذا سمح لي بأن أتأخر في الخارج ما دمنا انتقلنا من النادي إلى مكان آخر لا رقص فيه ولا موسيقى. أنا وميشيل فقط.

ـ وماذا حدث للآخرين؟

ـ كانوا جميعاً أكبر مني سناً، ولذا بقوا في النادي وكان ذلك عظيماً.

ـ طبعاً.

إذن فقد استمع ألكسندر إلى رأيها. لا بد أنه يتمنى الآن لو لم يفعل: «من المؤسف أنك عانقت ميشيل قبل انتقالك من النادي».

ومن المؤسف أيضاًأن الكاميرا التقطت صورة لهما. هذا ما يحدث عندما تحاول أن تسدي معروفاً لشخص ما. أصرّ عليها ضميرها ألاّ تتصل بالصحيفة إلا بعد أن تعود الفتاة إلى بيتها آمنة، فسُرقت قصتها منها.

والأسوأ من ذلك أن عليها أن تعترف بأن ألكسندر أورزينو أكثر إدراكاً منها.

قالت كاتي تطمئنها: «لم يصرخ كساندر عليّ. بل ناولني الصحيفة لكي أدرك بنفسي أنه ليس ذلك العجوز التعس الذي يمنعني من المرح. وليبرر لي لماذا لن يسمح لي بأن أخرج وحدي مرة أخرى إلا بعد أن يتأكد من أن بإمكانه أن يثق بي، وهذا يعني، أساساً، حتى نهاية حياتي».

وهزّت كتفيها بشكل لا أثر فيه لهيبة الأمراء.

فقالت لورا متأثرة: «أمر صعب».

ـ ما هو صعب حقاً ألاّ يهتم أحد بي. ما يهتمون به حقاً هو كساندر والكاميرا تفاجئه وهو يعانق فتاة رائعة. لو أصبح أقل من أمير بقليل وأكثر من مجرد فتى عابث بقليل، عندئذ يصبح أمره قصة. ويمكنني أن أحيا على هواي.

ـ أليس لديه امرأة يعانقها؟

ـ كساندر؟ ربما في يوم من الأيام. إنه لسوء الحظ مشغول جداً بإدارة «مونتورينو» عن أيّ من تفاهات هذه الأيام.

ـ هذا سيء جداً.

ـ كل ما أرجوه هو أن يتغلب على ذلك. لا بأس إن فاتني السباق الملكي، لكنني أريد حقاً أن أذهب إلى «ويمبلدون» معه، وأقابل نجوم التنس. ألا تعجبك سيقان أولئك الرجال؟

ـ بلى. لكنني لو كنت مكانك لما تكلمت عن السيقان أمام خالك. لا أظن أنّ ذلك يساعد على تليين موقفه.

ـ يبدو وكأنك أصبحت تعرفينه تماماً.

ـ أحقاً؟

وضعت لورا فنجاني الشاي، جاهزة لئلا يشرد ذهنها نحو معصمي الأمير ألكسندر القويين اللذين ينبئان أنه يستطيع أن يكون لاعب تنس. . . هذا إذا وجد وقتاً.

كانت قد رأتهما عن قرب عندما نظف وجهها من التراب.

وعادت بذهنها إلى الحاضر: «حسناً، أنا مسرورة لأنك تسليت الليلة الماضية بعد تلك البداية غير المتوقعة. ألم يصبك أي ضرر بعد أن رميتك أرضاً؟ لديّ شعور بأنني من يجب أن يعتذر».

فاحمر وجه كاتي: «لا. أظنك في الحقيقة شجاعة للغاية. لو كنت لصاً حقيقياً. . .».

- انسي الشجاعة، فالكلمة هي الغباء، أتعلمين؟ لو أخبرتني أمس عما كنت تفعلينه، لنظرت إلى جهة أخرى فيما أنت تهربين.

- أحقاً؟

- كنت بمثل عمرك ذات يوم. . . منذ قرون طويلة. . .

انفجرت كاتي ضاحكة: «أنت ظريفة جداً حقاً. لا أظنك تفكرين في أن تعانقي كساندر في مكان عام، أليس كذلك؟ فذلك سيحَول الاهتمام عني حتماً».

لورا التي فوجئت بهذا السؤال، احتاجت لثانية أو اثنتين لكي تستعيد أنفاسها قبل أن تفكر في ردّ. أن تعانقه؟ يا لها من فكرة!

ولحسن الحظ، فسّرت كاتي ترددها على أنه تهذيب. فقالت: «لا، طبعاً. يا له من سؤال أحمق! أظنه تجاوز السن التي يفتن فيها النساء. أعني، إنه أمير، وثمة نوع من النساء يرين في تلك القوة والنفوذ مصدر جاذبية وفتنة. لكن كساندر يكره ذلك».

رأت لورا وبداها ترتجفان أنه ما كان لها أن تجري حديثاً كهذا مع إبنة أخته البالغة من العمر سبعة عشر عاماً، مهما كانت منجذبة إليه.

وبدا لها أن تغيير الموضوع فكرة حسنة، فقالت: «قال خالك إنك ستعتذرين لكنني توقعت ذلك بواسطة الهاتف فكيف عرفت عنواني؟».

كانت هذه مشكلة. لو أنّ قصتها عن خروج الأميرة من بيت خالها ظهرت في صحيفتها هذا الصباح لما قرعت الأميرة كاترينا جرس الباب بل صاحب السمو، ليرغمها على ابتلاع كلماتها لكي تعيش ابنة أخته حياة طبيعية.

تراهن على أنه كان ما ليرسل خادمه.

سألتها كاتي: «ألم يرسلك إلى بيتك في الرولز رويس؟».

- لا.

وسكتت عندما ارتفع طرق آخر على الباب، فسألتها: «هل هذا حارسك جاء يعرف سبب تأخرك هنا؟».

- لا. اليوم هو إجازتها الأسبوعية. هذا الصباح يقوم كارل بوظيفة مزدوجة. . . سائق وحارس سجن. لكنه أكثر حرصاً على السيارة منه على تصرفاتي، ولذا وعدته بألاّ أقوم بأيّ حماقة.

- إذن، لا بد أنه جاري يريد فنجان قهوة. سأخبره أن الحظ حالفه.

أول ما خطر لها وهي تفتح الباب أنه لا يمكن أن يحدث هذا لها. ثم خطر لها أن عليها أن تضع في الباب تلك العدسة التي تمكّنها من رؤية من يطرق الباب قبل أن تفتحه.

- ابنة أختي. . . عقل. . . عقلها كالمنخل. . .

ويبدو أن الكلمات ضاعت من الأمير وهو يراها في ثياب نومها.

كان يحمل السترة التي وضعتها لورا تحت رأس الفتاة تلك الليلة والتي يبدو أنّ الفتاة حملتها معها بدلاً من أن تتركها في الزقاق عرضة للسرقة.

يا لها من انسانة خلوقة!

كانت السترة قد غُسلت وكويت وهي تتدلى الآن من علاقة ثياب.

وهذا على الأقل، يفسّر كيف عرف عنوانها، فقد تركت مغلفاً مستعملاً في الجيب، وربما أكثر.

أتراها حمقاء إلى هذا الحد فتقوم بهذا العمل الغبي؟

- شكراً لأنك أزعجت نفسك بإعادتها. ما كان لك أن تأتي خصيصاً من أجلها.

- ما من إزعاج في ذلك.

ما من إزعاج في ذلك طبعاً. كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يرفع سماعة الهاتف ويستدعي سائقه، فهو لن ينتظر الباص ولن يركب في قطار الأنفاق العامة.

- عنيت فقط أنه كان بإمكانك أن ترسل خادمك. . .

- أردت أن أشكرك مرة أخرى، بنفسي. وأطمئن إلى عدم وقوع

ضرر دائم.

ـ حسناً، كما ترى، أنا بأحسن حال.

تفحص آثار الخدوش للحظة ثم قال: «نعم».

نعم؟ نعم فقط؟ ماذا يعني؟

ثم تابع: «وبما أنني لا استعمل المواصلات العامة، قدت سيارتي بنفسي».

وارتسمت على فمه إحدى ابتساماته الخفيفة التي كما لاحظت الليلة الماضية، كان لها تأثير مثير على تنفسها.

ـ أحقاً؟

وصدرت هذه الكلمة عنها بدهشة لاهثة.

ـ يمكنني أن أقود.

فقالت بسرعة: «طبعاً بمكنك».

ـ وكان الخادم مشغولاً.

إنه يسخر منها. وانحبست أنفاسها تماماً... مرة أخرى.

ـ القهوة جاهزة.

وسكتت كاتي فجأة وهي ترى خالها: «كساندر؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟».

ساور لورا شعور غريب عندما بقيت نظرات الأمير ألكسندر معلقة بنظراتها. كان الأمر أشبه بتلك اللحظة التي يبدأ فيها مصعد سريع، بالإنحدار. شعور مؤقت بانعدام الوزن مع إحساسٍ بفراغ داخلي. ثم نظر إلى ابنة أخته يجيبها: «نسيت أن تعيدي سترة الآنسة فارنديل إليها. وخطر لي أنها قد تحتاجها».

قالت كاتي وهي تنقل نظراتها بين الاثنين مفكرة: «هذا صحيح».

وقال فجأة: «هذا ليس كل ما نسيته».

فردت عابسة عندما رأته يخرج من جيبه علبة: «إذا كنت تتحدث

عن ذلك «البروش» القبيح، فأنا لم أنسه وإنما تركت لك فرصة تتراجع عن رأيك بشأنه».

قطب جبينه فتابعت: «أما وسام الاستحقاق فهو شريط رائع الزرقة يا لورا، يشبه لون عينيك تماماً، ويحمل صورة مصغرة لجد جدي. يمكنك أن تلبسيه على كتفك في الحفلات الرسمية...».

ـ شكراً يا كاتي.

هزّت كتفيها حين قاطعها خالها: «إنه أجمل من ذلك «البروش» على أيّ حال».

شعرت لورا بالارتباك والخجل لأنها لم تكن تلبس ثياباً لائقة لاستقبال زائرين عاديين فكيف بالشخصية الملكية الهامة. فأمسكت بالسترة التي أحضرها وحملتها أمامها.

ـ ألن تتفضل بالدخول؟

وتراجعت لتسمح له بالدخول إلى ردهتها الصغيرة. وقالت كاتي: «نحن في مطبخ لورا. تعال من هنا».

ولم تتوقف لترى إن كان يتبعها.

مطبخها؟ لعله لم يدخل قط مطابخ قصوره: «أرجو أن تنضم إلينا».

ثم أضافت متأخرة: «يا صاحب السمّو».

ـ شكراً.

وبقي ممسكاً بالعلبة كما لو أنه يتمنى لو لم يرها قط.

ـ هل آخذ منك هذا؟

ـ إنها اعتراف بسيط بالجميل.

وأعطاها العلبة بارتباك مفاجيء.

عندما دست سترتها تحت إبطها، انزلقت العباءة عن كتفيها. وبما أن يديها كانتا مشغولتين، لم تجد أمامها من خيار إلا أن تتجاهل ذلك وتفتح العلبة. لم يكن البروش، وهو إطار ذهبي بيضاوي الشكل،

www.elromanca.com

كبيراً، إنما ثقيلاً جداً. كما لم يكن قبيحاً على الإطلاق. إنه مصنوع بإتقان ومن ذهب ممتاز، لكنه ليس شخصياً ولا بد أنه هبة ملكية معتادة.

قالت برزانة: «سأحتفظ به».

وعندما ارتفع أحد حاجبيه بشكل خفيف، للغاية، أكملت: «ستكون مرتاحاً أكثر في غرفة الجلوس».

لكن كساندر تجاوز البروتوكول بزيارته المفاجئة هذه لشقة لورا، وليس لديه النيّة في أن يجلس في غرفة الجلوس مكرّماً مبجّلاً.

ـ المطبخ مقبول تماماً.

ـ نعم، حسناً! أستأذن لكي... لأعلق سترتي.

دخلت إلى غرفتها فلمح في الداخل لحافها الذي انزلق إلى الأرض، منبئاً بليلة قلقة.

ـ سأرتدي شيئاً أكثر...

وتلاشى صوتها وكأنها انتبهت إلى أنه من غير الحكمة أن تلفت الانتباه إلى ما كانت أو ما لم تكن تلبسه. لقد أمضى عمره وهو يتدرب على التحكم في ملامح وجهه، محتفظاً بأفكاره لنفسه، وهكذا لو أراد أن يبتسم لما فعل.

ـ ظننت أنّ شخصاً آخر على الباب...

ـ أرجو أن تأخذي وقتك يا لورا. لن يضر كاتي إذا ما تدربت على لعب دور المضيفة.

ـ حسناً.

ثم اقفل الباب بينهما، وبقي فترة كافية لكي يسمعها تتنهد تنهيدة قوية.

عندئذ ذلك ابتسم.

* * *

٤ ـ تجربة جديدة

كانت كاتي تستخدم هاتفها الخلوي فأقفلته عندما جلس بجانبها في مطبخ لورا الصغير وسألها: «عما تتحدثين؟».

ـ لا شيء. إنه ميشيل يسألني أن أرافقه الليلة إلى السينما.

ـ ميشيل؟ هل هو الفتى الذي في الصورة؟ ذلك الذي كان يعانقك؟

ـ تجعل الأمر يبدو وكأنه اقترف خيانة عظمى.

ـ ومن قال إنه لم يفعل؟

ـ ماذا؟

فقال: «ما من أحد أعدم لتقبيله أميرة منذ مئات السنين في مونتوربنو. ولكن من الأفضل أن تخبريه أن القانون ما زال ساري المفعول».

ـ أنت تمزح.

فقال معترفاً: «بالكاد».

سألته إن كان يريد قهوة، فأومأ. عندئذ ناولته الفنجان قائلة: «من دون حليب أو سكر، كما تحبها بالضبط».

كانت ثرثرة كاتي تملأ أذنيه فيما ذهنه يرفض ترك الصورة التي فاجأته عندما فتحت لورا الباب.

ـ ما رأيك يا كساندر؟ هل أنا نابغة أم ماذا؟

ـ أم ماذا...

تمتم بذلك بذهن شارد وفيما أفكاره لا تزال تلاحق استدارة كتف

لورا. كانت عباءتها قد انزلقت وهي تدس سترتها تحت إبطها لكي تفتح هديته.

من كانت تتوقع؟

ـ آسفة، ليس من عادتي التأخر في النوم، لكنني نمت في وقت متأخر.

قالت هذا وهي تقف في المدخل. كانت قد ربطت شعرها الفاتح بوشاح وارتدت بنطلون جينز وقميصاً أبيض فضفاضاً من الكتان يصل إلى ما دون وركيها. هزت كتفيها: «لكنك تعرف ذلك».

وقبل أن يجيب، قالت كاتي: «لورا. لديّ أعظم فكرة، وقد وافق كساندر عليها».

هل فعل؟ والتفت إليها لكنها تجنبت نظراته. كانت تحضر شيئاً.

ـ ما نحتاج إليه هو عملية إلهاء وتمويه.

ـ إلهاء وتمويه؟

نطقت لورا بالسؤال الذي لم يطرحه، فأضافت كاتي: «أي شيء يحوّل أذهان الكل عن الصورة التي ظهرت في الصحيفة؟».

فقال: «هل أنت واثقة من أنك تريدين أن تذكريني بها؟».

ـ لن ينتهي الأمر عند هذا الحد، أليس كذلك؟ أعني أنت تعلم ماذا سيجري. وجدت مصوّرين أمام المنزل هذا الصباح.

أثار هذا انتباهه: «لم أرَ هناك أحد عندما غادرته».

ـ طبعاً لا، فقد تبعوني لأنني أنا القصة. ألم ترهم أمام الشقة عند وصولك؟

ـ هنا؟

وكبح شتيمة وهو يستدير إلى نافذة المطبخ.

رفعت كاتي أهدابها فرأت لورا النظرة التي رمقتها بها. كانت بعيدة عن التوسل، بل تعكس ثقة بالنفس، ثقة شخص ولد ودم آل أورزينو يجري في عروقه. وتقول هذه النظرة، لا بل تأمر (اتبعوا

خطاي). وخطر في بال لورا أنها لم تكن حكيمة حين قالت للفتاة إنها كانت لتحوّل نظراتها تلك الليلة عنها لو أخبرتها بما تنوي فعله.

قالت لخالها: «أتصور أنهم التقطوا لك صوراً أنت أيضاً. أتساءل عما سيفعلونه بها».

وسكبت كوب قهوة آخر بهدوء بالغ: «حليب يا لورا؟ سكر؟»

ـ كما تشائين. شكراً.

قال الأمير الكسندر بثقة تامة رغم أنه لم يكن يبدو سعيداً: «لم يلتقط لي أحد صوراً لأنه لم يكن هناك أحد عند وصولي».

فعلت كاتي مثله فنظرت من النافذة ثم هزت كتفيها: «لا؟ حسناً، لعلهم أخذوا ما يريدون ثم انصرفوا، أو لعلهم يقرعون الأبواب ليسألوا عمّن يقيم هنا. آسفة يا لورا. إنه ذنبي لأنني نسيت سترتك. فهذا سيسبب لك شتى أنواع الإزعاج».

ومطّت عنقها لترى الشارع جيداً ثم سألت: «من هو الخارج من تلك السيارة الآن؟ أتعرفينه؟».

لا... لا يمكن أن تشارك في هذا، فقد سبق وأحدثت ما يكفي من ضرر. قالت: «لا أستطيع أن أرى».

وكانت على وشك أن تتخذ موقفاً حازماً، حين رأت رجلاً يخرج من سيارة في الناحية البعيدة من الطريق. وكان مصوراً من صحيفتها: «آه، رباه».

والتفتت إلى الأمير ألكسندر: «أرى أن كاتي على صواب... ذلك الرجل...»

وسكتت بعد أن أوشكت أن تقول اسم الرجل: «يحمل كاميرا».

فقالت كاتي: «حسناً، إذا لم ينالوا منك وأنت قادم، فسينالون منك وأنت خارج. يا له من كابوس! يبدو أنك ستصبحين وسيلة تمويه، سواء شئت ذلك أم أبيت يا لورا».

وتنهدت بأسف لم يستطع أن يحجب رضاها الواضح: «عندما

ينتشر خبر زيارة كساندر لك في شقتك، ستصبح مغامرتي الصغيرة منسية تماماً».

ـ لكنني سأشرح الأمر . . .

وسكنت لا تصدق أنها قالت شيئاً كهذا: «أو ربما لا».

فقال بشيء من الملل: «لا تعتذري أبداً، ولا تشرحي أبداً. فهذا يجعل الأمور أسوأ».

ـ نعم.

قالت هذا وهي تفكر في أنه ما كان ليجلس في مطبخها ويشرب قهوتها لو علم أنها في الجانب الذي زاد الأمور سوءاً: «كان عليك أن تلتزم فكرتك الأولى وترسل خادمك».

قولها هذا جعله يبتسم: «هل جرحك ذلك؟».

فتصنعت البراءة: «عفواً؟ لم أفهم».

لكنه لم ينخدع: «برأيك، كان عليّ أن أتصل بك بنفسي الليلة الماضية».

إنه يعلم ولا فائدة من الإنكار: «حسناً، لو كان الوضع معكوساً لقمت بذلك بنفسي حتى لو كان لدي من يؤدي هذه الخدمة. لكنني أتصور أن لديك أموراً أفضل تقوم بها، لا بد أن إدارة البلاد تأخذ وقتك كله إذا كنت تصرّ على القيام بكل شيء بنفسك. . .».

ـ ليس أمامي خيار. . .

فقاطعته كاتي بسرعة: «في الواقع، ليست الأمور كلها سيئة».

فالتفت الاثنان إليها.

ـ فقد أصبحتما صديقين، وأصبحت أنا مبعدة. وإذا أخذت لورا إلى السباق، فلن يتذكر أحد وجودي، وأعود مجرد تلميذة أتابع دراستي هنا بشكل عادي لثلاثة أشهر.

أثناء الصمت الطويل الذي تلا هذا الاقتراح، خطر للورا فكرة أنّ كاتي استدعت الصحيفة بنفسها. لقد اغتنمت السيدة الصغيرة الفرصة

لكي تربك خالها. فعندما يظهر على الصفحة الأولى، لن يهتم أحد بما تفعله كاتي!

وأخيراً، قال الأمير ألكسندر: «لا. هذا مستحيل».

طبعاً، لا يمكن التفكير في أمر كهذا.

ـ لماذا؟

ـ لا يمكنني أن أجعل من الآنسة فارنديل موضوع ثرثرة عقيمة لكي تذهبي إلى السينما مع صديقك.

هذا هو السبب إذن! لا علاقة للأمر بكونها قروية وهو أمير. المسألة مجرد شهامة ونبل منه.

كم هذا مزعج! مسكينة كاتي ومسكينة هي. بالضبط عندما بدا وكأنها ستحصل على القصة التي تريدها، تلك التي وعدت تريفور بها.

سيسعدها أن تتحمل بعض الأقاويل لتحصل على فرصة للتقرّب أكثر من ألكسندر ميشيل جورج أورزينو. بل ستحتمل الكثير من الأقاويل.

إنها مستعدة لأن تعاني من أجل العودة إلى مهنتها.

وتكلمت لورا وأصبحت فجأة محط أنظارهما، عينان راجيتان وأخريان من دون تعبير: «بالنسبة إلى تعليقاتي الصريحة الليلة الماضية. . .».

أرجوك يا إلهي أن تجعله ينسى آخر تعليقاتها الصريحة عن قيادته غير الديموقراطية. . .:

ـ يبدو أن أقل ما يمكنني فعله هو أن أوفرّ القليل من التغطية لكاتي لتتمكن من أن تتنفس قليلاً. . . أن تعيش كفتاة طبيعية لأسبوع أو اثنين.

دفع التعقل كاتي إلى الالتزام بالصمت. ودام الصمت طويلاً ما جعل لورا واثقة من أن سمّوه يعلم تماماً ماذا تفعل. ويستطيع أن يرى ما ترسمه مخيلتها.

وفجأة خرقت ضجة الثلاجة الصمت فقفزت واقفة. وأخيراً، سألها: «ألن يفسد ذلك حياتك الخاصة؟».

- حياتي الخاصة؟

لم يكن لديها حياة خاصة، فلطلما كانت مشغولة بمهنتها. لكن وضعها سيتغيّر بشكل مثير لو طلب منها الخروج معه.

- ما هي مهنتك؟

النجدة!

- بحق الله يا كساندر أطلب منها ذلك فقط، فإذا كان لديها مشكلة فستقول (لا).

ومن وراء كساندر أشارت إليها كاتي بفمها أن توافق.

وفي تلك اللحظة، أدركت لورا أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك، فقالت متجاهلة نظرة كاتي المعذبة: «لا. إنس أنني قلت ذلك، أنت على صواب تماماً في أن الأمر مستحيل».

ما الذي خطر لها؟ إنه أمير، وهي ليست من الفتيات اللاتي يرافقن الأمراء إلى الأحداث الهامة في المجتمع الإنكليزي.

على الفتاة التي ترافقه أن تكون أرستقراطية مثله، أو من جميلات المجتمع أو ممثلة سينمائية. وليس فتاة مجهولة صغيرة الحجم لا يمكنها حتى أن تحصل على وظيفة.

ولكن ألا يمكنها أن تجعل من ذلك قصة عظيمة؟...

وتجاهلت الإغراء وقالت: «لا يمكنني القيام بذلك حقاً يا صاحب السمو. أود أن أساعدك يا كاتي، ولكن لا. لن ينفع هذا أبداً».

أدرك كساندر أن عليه أن يقبل بقرارها، وأنها على حق. لكن كاتي أيضاً على حق أيضاً. على أيّ حال سيعالج أمر تلك الصورة بشكل ما...

- بالعكس. أعتقد أن ذلك سينجح جيداً. سيشرفني أن ترافقيني إلى تلك المناسبة، يا لورا.

- بشرفك؟

بدت مصدومة نسبياً. بدا وكأن الدعوة جاءت رغماً عنه، كأي رجل مهذب يوضع تحت الأمر الواقع. إنه، في الواقع...

- بل يسرّني! رافقيني أرجوك.

لم تتغير ملامح الأمير ألكساندر، لكنها لاحظت شيئاً في عينيه. ثمة دفء لم يكن موجوداً من قبل. وخفق قلب لورا بعنف لم تتوقعه.

رافقيني، أرجوك!

آه، رباه! وشعرت بخدر خفيف لتحوّل الأحداث، وازداد الشعور الخفيف بالضيق مما تهدف إليه كاتي. إنها بالتأكيد تهدف إلى شيء ما.

لكن ماذا في ذلك؟ هذا ليس من شأنها. ستهتم بذلك الأمر لاحقاً. فلديها موعد مع سمّو الأمير ألكسندر ميشيل جورج أورزينو. ستنسى لفترة قصيرة أن ذلك قد يعيد إليها وظيفتها. إنها على وشك الحصول على قصة العمر، لا بل أكثر. ستحصل على تفاصيل إضافية، وعلى تربفور ماكارثي أن يزحف إذا أراد الحصول على القصة. عليه أن يقدم لها عرضاً لا تستطيع أن ترفضه.

- حسناً، إذا كنت واثقاً من إن رفقتي ستسرّك...

ومنحته ابتسامة خفيفة مماثلة لابتسامته، كابحة رغبتها في أن تبتسم ابتسامة مشرقة تنبع من القلب. أرادت أن تصرخ: شكراً يا جاي! أنت ذكية للغاية! لكن، حتى وهي تكاد تطير فرحاً، استطاعت أن تسمع عمتها تقاطع هذا الهراء بقولها: «لا تفسدي هذه الفرصة يا فتاتي. إنها فرصة العمر. أنت تعطينه ما يريد. والآن حان الوقت لكي تطلبي شيئاً بالمقابل». ماذا؟ لا، لا تستطيع... ولا ينبغي لها ذلك. ولكن هذا ليس موعداً يمكنها أن تحدّث أحدهم عنه. إنه عمل.

وتنفست بعمق.

- يسرني أنا أيضاً أن أقبل الدعوة.

وانتظرت إلى أن هدأت خفقات قلبها: «ولكن بشرط»

ـ شرط واحد؟

تحوّل مجدداً إلى رجل ثلجي. من الواضح أنه لم يحدث في التاريخ أن وضع أي شخص شرطاً لقبول دعوة شخص من آل أورزينو. أرادت أن تقول آسفة، إنس هذا، لم أكن أعنيه. أريد أن أرافقك لكي. . .

انتظر هو، بينما جفّ حلقها.

فات الوقت على استرجاع كلماتها، والعودة إلى الحديث الدافيء.

ـ لا شيء صعب. ولكن إذا كانت كاتي تريد أن تأخذ فرصة وترتاح من كونها أميرة، فأظن أن سمّوك يجب أن تذوق طعم الحياة (العادية) أنت أيضاً.

حبست لورا أنفاسها عندما رأت فم كاتي الواقفة خلف الأمير ينفتح ذهولاً.

بدا الأمر وكأنها مصممة على تخريب وظيفتها. وهذه المرة نسفتها كلياً، وألقت بها بعيداً. لم تعد قانعة بقضاء اليوم مع الأمير ألكسندر في «السباق»، بل أرادت أكثر. . أكثر بكثير.

ما الذي تفكر فيه؟

الجواب سهل. لم تكن تفكر على الإطلاق. كعادتها دوماً، تعطل دماغها ووقعت في الفخ بقدميها الاثنتين.

أو ربما لا. لعل قدماها عرفتا التصرف الصحيح ولو لمرة.

رغم ابتهاجها لفكرة أنها ستكون في «أسكوت» بجانب سمّو الأمير ألكسندر بصفتها ضيفته، إلا أن هذا لن ينفعها في مهنتها. إذا ظهرت في «أسكوت» مع سمّو الأمير فستصبح هي القصة. هذا هو الهدف من الدعوة على أيّ حال. وهذا أمر عادل، ويمكنها أن تتقبله. لكن يحق لها أن تحصل على شيء في المقابل.

ستسلّم القصة لتريفور، القصة التي تعتمد عليها حياتها كلها. تلك التي سترفقها بصور.

كان ألكسندر أورزينو يعلم أن كاتي استطاعت أن تحتال عليه. وقد ألهاه مظهر لورا التي تتميز بجاذبية يمكن لقلة من الرجال مقاومتها.

كان هذا سبب وجوده هنا. لقد تجاوب مع ذكرى عينين مليئتين بالحيوية، وفم سريع الابتسام، فم لم يخشّ أن يخبره ما تفكر فيه صاحبته بالضبط.

كان هذا سبب عدم إرساله سترتها. . . أو البروش، مع رسول. لم يخدع نفسه قط من قبل وهو لا يريد أن يفعل الآن. أراد أن يلقي عليها نظرة أخرى ويتلقى شحنة أخرى من الطاقة التي حملتها معها إلى بيته. وقد منحته الفرصة ابنة أخته الكثيرة النسيان.

ولكن حان الوقت لكي يستعيد السيطرة على نفسه.

نظر الى ساعته: «كاتي، أظن أن عليك ألاّ تبقي كارل منتظراً أكثر».

قال هذا وعيناه لا تفارقان لورا ثم أضاف: «خاصة وأنك ستحزمين أمتعتك لكي تلحقي بطائرة بعد الظهر».

اتسعت عينا كاتي ذاهلة: «أحزم أمتعتي؟ لكنني ظننت أن . . .».

ـ أملي في أن تتجنبي لفت الأنظار كان في غير محله.

وأشار إلى النافذة: «صورتك أثارت وأشعلت انتباه الصحافة لذا ستستمّر في التقاط الصور لك وإعادة قصة الليلة الماضية. لن يرحل الصحفيون وبالتالي عليك أنت أن ترحلي».

ـ لكنك قلت. . .

همّت كاتي بأن تجادله لكن نظرة واحدة إلى وجهه أنبأتها بعدم فائدة ذلك. وبدلاً من ذلك، أخفت ألمها وهزت كتفيها بعدم اكتراث ثم قالت للورا: «أيمكنك أن تصدقي ذلك؟ النفي بسبب عناق واحد؟

من الأفضل إذن أن أصبح راهبة. حسناً، شكراً على القهوة يا لورا، وعلى محاولتك أن تساعديني».

ـ أنا آسفة للغاية يا كاتي. . .

بدت حزينة حقاً. كانت تلوم نفسها، لكن كاتي كانت منصفة وهي تقول: «لا تأسفي فهذا ليس ذنبك. اسعدي فقط لأن لديك حياة».

لقد احتفظت ابنة أخته بغضبها له إذ حملقت فيه وهي تلتقط حقيبة يدها وكبحت دموعها ثم ركضت تقريباً خارجة من الشقة.

أجفلت لورا عند انصفاق الباب ثم سألته: «هل من المفروض أن تكون قاسياً بهذا الشكل؟».

نسيت لقب صاحب السمّو وهي تتصرف بهذا الشكل القريب من الوقاحة، ما يعني أنها تعتبر الألقاب سخيفة.

ـ أنا لست قاسياً أبداً. هل ترين؟

واقترب من النافذة ينظر معها إلى المصور الذي صاح بكاتي والتقط لها صورة عندما رفعت إليه وجهها الذي غسلته الدموع ثم صعدت إلى المقعد الخلفي من السيارة.

نظرت إليه باستنكار، فتابع يقول: «غداً سيظهر في الصحف أن الأميرة كاترينا أعيدت إلى بلادها بعد حادثة الملهى، هذه الصورة ستثبت مدى حزنها ولا شك في ذلك».

ـ من ثم؟

ـ إذا خدمنا الحظ فسيتبعها المصور وأعود أنا إلى البيت من دون أن ينكشف أمري.

ـ أتعني أنك جعلتها باكية لئلا تلوث الصحافة سمعتك؟

ـ سمعتي ليست هنا ولا هناك. لكنني لا أريدك أن تشقي طريقك بالقوة لتخرجي من بابك الذي يسدّه صحفيون يريدون أن يعلموا ما كنت أفعله هنا.

ـ آه.

ـ عقابها لن يطول، يمكنها أن تعود إلى لندن في الأسبوع القادم من دون معاملة خاصة كما تعامل الشخصيات الهامة، وربما نحجز لها في الدرجة السياحية. سأرتب أمر إقامتها مع مربية أمها العجوز بشرط ألاّ تلفت الإنتباه إليها مجدداً. يمكنها أن تعود يوم الإثنين إلى المدرسة كأي فتاة عادية، وتعيش مجهولة طوال الثلاثة الأشهر القادمة، فتركب الباص، وتذهب إلى السينما مع المدعوّ ميشيل الذي لم يتعلّم بعد أن عناقه لفتاة هو شيء لا ينبغي أن يشرك فيه بقية العالم.

ونظر إليها وقد شغلته خصلة من شعرها انزلقت على أذنها التي يزّينها قرط ذهبي ناعم. وجاهد لكي يمنع نفسه من إعادة الخصلة إلى وراء أذنها، ومن ملامسة التقطيب في وجهها الجميل.

سألها لكي يشغل نفسه: «أليس هذا ما تريدينه لها؟».

ـ نعم، ولكن كان بإمكانك أن تخبرها بذلك. فهي ممثلة ماهرة جداً.

ـ التمثيل لا يكفي أحياناً. عليها أحياناً أن تتألم. ربما لي هدف وهو أن أذكّرها بما سيحدث لو كانت من الغباء بحيث تذهب إلى النادي مرة أخرى.

ـ هذه قساوة.

ـ إنه الواقع. غلطة واحدة قد تُنسى إذا ما حصل أيّ تمويه. لكن غلطتين ستجعلانها هدفاً، أنا واثق من أنها ستتفهم الأمر.

ـ ربما. ما زلت أظن أنه كان عليك أن تخبرها.

ـ سأفعل. سأتصل بها غداً. في هذه الأثناء علينا أن نتأكد من أن الصحافة لديها موضوع أهم تركز عليه.

ـ (نحن) نتأكد؟

ـ أعني «أسكوت». لقد تطوّعت لذلك. يمكنك طبعاً أن تغيّري رأيك. أنا واثق من أن كاتي ستفهم لماذا لا يمكنها العودة. . .

استحوذ الآن على انتباهها. وتوهجت عيناها الجميلتان وهما

تحملقان فيه: «لا، لا، حقاً. إذا كان هذا سيساعد كاتي. . . ».

ثم، ومن دون أن تتمكن من مقابلة عينيه، قالت: «آسفة لقولي إنك. . . إنك قاس. إنها محظوظة لأن لديها من يمنحها الفرصة لتعيش (حياة عادية) مهما كانت الفرصة قصيرة».

ـ لديها ثلاثة أشهر أرجو أن تستغلّها إلى أقصى حد. لأن هذا سيدوم مدى الحياة.

توتر فمه وهو يقول ذلك، وقد تملكه الغضب.

ـ وقتي محدود أكثر. لديّ أسبوع كحد أقصى. ولذا، أخبريني يا لورا. ما الذي يجول في ذهنك؟

ـ ماذا تعني؟

ـ لقد قدمت ليّ الحياة العادية. عطلة من شؤون الدولة، ومن الحياة الإجتماعية الكئيبة المملّة الحافلة بالاستقبالات والاحتفالات وحفلات العشاء الرسمية.

ـ لم أقل إنها مملة كئيبة.

ـ آه، لكنها كذلك يا لورا. صدقيني.

رغم أنها ستنعش الأمور من دون شك حتى أنها قد تصبح ممتعة: «وهكذا، إذا كانت الدعوة لا تزال مفتوحة فأنا بتصرفك. أم لعلك تظنين أنني لا أستحق الجهد؟ لا أمل مني؟».

الذهول الذي بدا على وجهها جعله يريد أن يقهقه ضاحكاً. وألح عليها: «هل لديك وقت فراغ بعد ظهر اليوم؟».

ـ بعد ظهر اليوم؟ أتعني اليوم؟

ـ ليس لدينا وقت نضيّعه. بعد «أسكوت» لن يبقى لك حياة عادية تشركيني بها. ستشاركيننا حياتنا لفترة وإن كانت قصيرة.

ـ هذا صحيح. لكن الآن، وبعد غياب كاتي، لم يعد هناك حقاً ضرورة. . .

وسكتت. ربما أدركت أنها على وشك أن تنسحب من أهم

الأحداث الاجتماعية، لكنها آمنة، فهو لن يدع هذا يحدث، إذ لا علاقة للأمر بكاتي. إنه يقوم بذلك من أجل نفسه.

سألته: «هل يمكنك أن تعطل أعمالك هكذا؟ ماذا عن التزاماتك الرسمية؟»

ـ ما رأيك بجرثومة دبلوماسية أو ربما بادّعاء الإرهاق.

ـ لا أحد سيصدق ذلك.

ـ أتظنين أن أحداً سيجرؤ على قول هذا لي؟

فاحمر وجهها: «لا. لا أظن ذلك».

ـ يكفي صحافي واحد فضولي ليتابع قصة كاتي ويكتشف الحقيقة فيهدم كل ما فعلناه. علينا أن نشتت انتباههم. إذا كانت كاتي ستعود، فالسباق موضوع غير قابل للنقاش، ولهذا السبب أقبل شروطك. عليك أن تقرري ابتداءً من عصر هذا اليوم.

مضت لحظة لم تعرف فيها ما تقول.

ـ إذا كان بمقدور بلادك أن تستغني عنك، فوقتي بعد الظهر تحت تصرفك.

ـ ستستمر مسيرة بلادي من دوني ساعات عدة. ستتكوم الأعمال المكتبية، لكنها تفعل دوماً.

وسألها: «ماذا عن وظيفتك أنت؟».

ـ وظيفتي؟

ـ أظن أن لديك وظيفة.

ـ لو أني موظفة لكنت في عملي الآن. أنا . . . أتنقل من وظيفة إلى أخرى.

ـ يا لي من محظوظ! سآتي لآخذك حوالى الثالثة بعد ايصال كاتي إلى المطار. يجب أن أنظم مسألة سفرها. هل يمكنني أن أستعمل هاتفك؟

ـ تفضّل.

وبينما كان يستعمل الهاتف، سارت إلى النافذة لتنظر إلى الشارع. وعندما جاء أخيراً ووقف بجانبها، سألته: «هل سيارتك هي تلك الكبيرة السوداء؟».

ـ وهل هذه مشكلة؟

ـ يجب أن نعاني جميعاً من مشاكل مشابهة. لكنها ليست عادية تماماً.

عندما التفتت تنظر إليه، وقعت أشعة الشمس على شعرها، فأضاءت خصلاته الناعمة، لتحيلها إلى هالة فضية.

قال من دون أن ينظر إلى السيارة: «لا، إنها ليست عادية على الإطلاق».

فقالت مقطبة: «يُفضَّل أن تتركها في المنزل عصر اليوم فهي ملفتة للأنظار. قد يتفحص ذلك المصوّر رقم السيارة ليرى لمن تعود».

ـ إنها مسجّلة باسم شركة.

ـ شركة «مونتوربنو؟»

ـ تقريباً. فهمت وجهة نظرك.

ـ من الأفضل أيضاً أن تستقل الباص. رقم اثنين وأربعين فهو يتوقف عند آخر هذا الشارع.

وعضّت شفتها السفلى لتكتم ضحكتها.

لم يكن عقله يصغي. لم يشأ أن يستعمل المواصلات العامة. فهو يريد أن يذهب معها في سيارته إلى الأرياف ليضيعا في مكان ما من دون هاتف أو صحف حتى الأسبوع التالي، وعندما يظهران في «أسكوت» يصبح مرغماً على العودة إلى عالم الواقع. وعندما لم يجب قالت: «حاول. ستكون هذه تجربة جديدة لك».

ـ أنا متلهّف لذلك.

* * *

أغلقت لورا بابها واستندت إليه ثم أغمضت عينيها: «ما الذي

فعلته؟».

وحدثّت نفسها بحزم، أنها حصلت على قصة، هذا ما فعلته. قصة تعزز مهنتها.

وإذا أجادت استغلالها فسيستقبلها تريفور ماكارثي بذراعين مفتوحتين.

وماذا عن الأمير ألكسندر؟ نبذت وخزّ الضمير الذي يتطفل دوماً في الأوقات غير المناسبة. وماذا عنه؟ إنه أحد أغنى رجال العالم، ولديه كل ما يحلم به أيّ رجل.

كل ما تريده هو هذه الوظيفة التي تلهّف لها قلبها منذ استطاعت أن تقرأ مقالات أمها، وفهمت ما تفعله جاي. ولم يكن هذا حلماً مستحيلاً، فهي مستعدة للعمل بجهد من دون اهتمام بالمال أو بالشهرة.

الأمير ألكسندر يملك البلاد كلها ولديه قصر خاص يعيش فيه أثناء الأسبوع وقصر في الريف للإجازات والعطل الأسبوعية. وبيت فخم في لندن وسيارات رياضية ويخت للنزهات البحرية.

آخر ما يحتاجه إليه في العالم هو عطفها. وماذا عن تلك الخادمة التي ذعرت منه؟ وماذا عن البلاد التي يحكمها حكماً استبدادياً مطلقاً؟ آخر ما يستحقه هو عطفها.

لم يهتم مثقال ذرّة بحياتها. كان يعلم أنها ستجد بعد «أسكوت» كل صحافي في لندن معسكراً عند عتبة بابها، ومع ذلك ابتزها لكي تقبل دعوته، موضحاً أنها إذا تراجعت فستبقى كاتي في مونتوربنو. لذا ستغافله وتكتب قصتها ثم تهرب حالما تظهر صورهما معاً في «أسكوت».

* * *

٥ ـ رحلة استكشاف

أدرك ألكسندر أنه ما كان عليه أن يفعل هذا، فثمة مسائل كثيرة تتطلب اهتمامه. على أي حال، هذه المسائل موجودة دوماً. لكن الاتفاق اتفاق صفقة، ولورا ضحّت بعزلتها لكي تمنح كاتي بعض الأمان. أقل ما عليه أن يفعله مقابل ذلك هو أن يتساهل مع تصميمها على أن تريه ما تظن أنه فاته.

ابتسم، فمن الممتع المقارنة عندما تختبر الحياة من وجهة نظره. لا بد ستجد فرقاً كبيراً بين المواصلات الصغيرة العامة وسيارة الرولز رايس مع سائق خاص.

على أي حال، من العدل أن تمنحه فرصة ليريها وجهة نظره. وهو أمر لم يأت على ذكره عندما قبل تحدّيها.

وفيما كان يبحث في خزانة ثيابه عن ملابس عادية يرتديها، تساءل عما إذا كانت ستواجه المشكلة نفسها عند الذهاب إلى «أسكوت»، فكل نساء طبقته يرتدين ملابس أنيقة غالية الثمن. هل سيجرح كرامتها إذا وعدها بدفع نفقاتها؟ ورأى أن ذلك مؤكد.

ودار في نفسه صراع بين الأسف والسرور. لقد جذبته صراحتها وصدقها وتصرفاتها الطبيعية البعيدة عن الحنكة. وهذا يعني أنها ستطلب منه أن يحتفظ بثمن تلك الملابس الأنيقة.

لكن سيسره أن يُلبس لورا أنعم الحرير، وأحذية تليق بالأميرات.

نظر إلى صورته في المرآة المستطيلة، ثم لوى شفتيه ساخراً. أن

يُلبسها الملابس الجميلة هو آخر ما يفكر فيه. لكنها لن تسمح له أبداً بإطلاق العنان لأهوائه.

* * *

ـ التسوق؟

ـ التسوق. وأنا آسفة لأني لم أجد شيئاً أكثر إثارة.

كان الأمير ألكسندر قد وصل في الموعد المحدد، بعد أن اتبع جزءاً من توجيهاتها واستقل سيارة أجرة عند آخر الشارع. كان على الأقل يرتدي ملابس ملائمة لأيّ مكان.

ولسوء الحظ، لا يمكن لسمّوه، بطوله وعرض كتفيه غير العادي، أن يبدو عادياً وهو يرتدي الجينز. أو لعلها الطريقة التي التصقت بها ملابسه بخصره وفخذيه، والتي رفعت نبضات قلبها.

لم يكن يبدو على الرجل الذي ظهر على غلاف تلك المجلة أنه سمع يوماً بالجينز، فكيف بأن يلبسه؟

عادت بأفكارها إلى العمل الذي بين يديها فقالت بحدة: «الناس العاديون عليهم أن يأكلوا أيضاً. أولاً يتسوقون وثم يطبخون ليأكلوا. يجب أن نحضر كل شيء بأيدينا».

فقال بأدب متجاهلاً توترها: «ما من مشكلة. فكرت في أن أذهب معك إلى السوق. ولكن يبدو أن فكرتك عن التسوّق لا تتماشى مع فكرة كاتي».

ـ لن نذهب إلى أي مكان قرب «نايتبردج» إذا كان هذا ما تعنيه، إذ لا بد أن يعرفك أحد هناك، حتى وإن كنت مرتدياً جينز.

خطر لها أنها تركز انتباهها على وركيه فأرغمت بصرها على الارتفاع ليقابل بارتباك تينك العينين السوداوين.

ما الذي يفكر فيه؟

ـ لا بأس بثيابك لسوق المنطقة.

فالأمير ألكسندر يبدو دوماً بارزاً بين الجموع، ويدير الرؤوس،

مهما كانت ملابسه عادية. لعله يرتدي ملابساً عادية لكنه يبقى ارستقراطياً بهيئته.

عليها فقط أن تعتمد على أنّ سمو الأمير ألكسندر لا يمكن أن يتجول في سوق المنطقة ليشتري الخضار لعشائه.

واستقرّ رأيها أخيراً على سوبر ماركت قريب، فالضوء القوي في الشارع سيمكنها من أن تلتقط صوراً أفضل له. كل ما عليها أن تفعله هو تمالك أعصابها لساعتين.

ولما لا؟ إنه السبب. ألم تحاول أن تتراجع فأصر على أن يكملا الاتفاق؟ وهذا لحسن حظها!

قالت: «فلننطلق. لا أدري كم بقي لديك من وقت».

ـ لقد أعطيت نفسي إجازة بقية اليوم، تبعاً لنصيحة جيدة.

ـ آه.

وأدركت أنه يعني نصيحتها فكررت وقد احمر وجهها قليلاً: «آه، ربما في هذه الحالة تودّ أن تبقى وتأكل...».

نادراً ما كانت الكلمات تعوزها، لكن فمها يجف كلما نظر إليها بهذا الشكل.

وأكمل كلامها: «ما سنشتريه من السوبر ماركت؟»...

ـ هممم...

ـ يبدو هذا...

هذه المرة لم يجد كلاماً مناسباً. ومن يلومه؟ فالتسوّق والطهو ليسا من عادته.

وأكملت كلامه: «... عادياً».

ـ ربما بالنسبة إليك ولكن ليس بالنسبة إليّ.

ـ لا، طبعاً. أليس لديك مشاريع أكثر إثارة لهذا المساء؟

ـ غداً سيظهر خبر في صحيفة «كورت وسوشال» يفيد أنني أصبت ببرد بسيط دفعني إلى إلغاء مواعيدي كلها لبقية هذا الأسبوع.

ـ أحقاً فعلت ذلك؟

ـ حياتي ليست كلها كافيار وشمبانيا.

قال ذلك بابتسامة ساخرة ثم أضاف: «في الواقع، نادراً ما أستمتع بهذه الأمور. كل ما أتطلع إليه الليلة هو تقرير وزير المالية».

لم تكن واثقة تماماً مما إذا كان يمزح، وما إذا كان عليها أن تضحك أم لا. وخطر في بالها أنه وبالرغم من الغطرسة والتكلف في حديثه وتصرفاته، يجيد المزاح أكثر منها، ما شكّل مفاجأة. فهذا الأنف الارستقراطي لا يتماشى مع المزاح، لكن لعله مجرد آلية دفاع، إنه يجيد فعلاً حماية نفسه.

فقالت تبادله الدعابة: «أعتبر من واجبي أن أنقذك من ذلك».

ـ شكراً يا لورا.

ـ أهلاً وسهلاً...

ماذا؟ بما عليها أن تناديه؟ سيدي؟ سمّوك، أيها الأمير؟

ـ ناديني كساندر.

قال ذلك مثبتاً أنه قادر على قراءة أفكارها متى شاء. فقطبت جبينها وكأنها لم تفهم ما يتحدث عنه.

ـ كنت تتساءلين بما تنادينني. لديك هذه المشكلة منذ تعارفنا

ـ أحقاً؟

ـ معظم الناس يلتزمون بكلمة «سمّوك» أو «صاحب السمّو». فهذا هو المقبول في البروتوكول. لكنك لا تحبين الألقاب.

ـ كيف عرفت؟

ـ لأنك حين استعملت لقبي بدا أشبه بإهانة أو موضوع سخرية.

ـ هذا لأن أمي أميركية، وأنا جمهورية الميول بطبيعتي و...

ـ ليس عليك أن تعتذري أو تشرحي يا لورا...

ـ لم أكن أعتذر!

ـ قولي اسمي فقط.

www.elromancia.com

- صاحب السمّو؟
- كساندر.
- كساندر.

كررت الاسم لكنها كانت تشعر وكأن فمها محشوّ بالقطن.

- إنه مجرد اسم كاسم أي شخص عادي. ولا تخجلي مني، فهذا لا يناسبك.

- لكنني لا أستطيع إلا أن أشعر بالخوف من أن أسجن لوقاحتي.

بدت ابتسامة خفيفة على شفتيه أظهرت أسنانه، وفكرت في أن عليه أن يبتسم دوماً.

- لكنك لم تخافي من أن تعطيني رأيك الليلة الماضية أو هذا الصباح.

- في الواقع، لديّ مشكلة مع لساني. إنه يتكلم من دون تفكير. بإمكانه أن يسبب لي الكثير من المشاكل.

- لا أشك في ذلك.

والتقط سلة التسوّق ليناولها إياها: «على أيّ حال، ستدخلين السجن لو خاطبتني هنا في المتجر بلقب (صاحب السمّو)...».

واختفت ابتسامته قبل أن يضيف: «فهذا سيفضح كل شيء، أليس كذلك؟»

- أنت محق...

فرفع حاجبه: «كساندر».

تناولت منه السلة محاولة أن تتجاهل الإحساس الغريب الذي تملكها. وعلقت الحقيبة الجلدية التي أرسلها لها تريفور ماكارثي في كتفها بقدر ما أمكنها من عفوية وهي تحبس أنفاسها، بانتظار أن يكتشف لمعان عدسة الكاميرا عند الباب إلا أنها انتبهت أن العدسة عليها غطاء.

ولكن لماذا سيشتبه الأمير الكسندر، كساندر، في أنها تخطط

لشيء ما؟.

لو كان لديه أقل فكرة، لما كان هنا.

فتح باب المطبخ وتنحّى جانباً لكي تسبقه: «إذا كنت جاهزة».

سألته وهي تتجه إلى الباب الأمامي محاولة أن تبدو طبيعية: «هل سافرت كاتي؟».

ستكون على ما يرام، إنه مجرد توتر في الأعصاب. بعض الهواء النقي يكفي لتعود أنفاسها طبيعية.

أجاب وهما يخرجان إلى الشارع: «سافرت وهي تنتحب. لقد تحوّلت إلى طفلة عنيفة في احتجاجها على العودة إلى الوطن، وهو أفضل حلّ نظراً للحاق المصور الصحفي بها إلى المطار».

- ومتى ستعود؟

سألته محاولة تبادل حديث عادي معه، لكن بدا صوتها في أذنيها متكلفاً زائفاً بشكل شنيع.

أجاب من دون أن يبدو عليه أنه لاحظ شيئاً غريباً في تصرفها: «تحدثت إلى أمها في عطلة نهاية الأسبوع فرتبت الأمر بحيث تستقبلها المربية بلاك في المطار وتصحبها إلى البيت. وبعدئذ يعود الأمر إلى كاتي».

ونظر إلى المبنى العالي حيث شقتها: «هل تسكنين هنا منذ مدة طويلة؟».

- ماذا؟

نظر إليها مدهوشاً.

رباه، عليها أن تتمالك أعصابها، فسؤاله عادي، إنه سؤال شائع، لكن ضميرها المثقل جعلها تظنه استجواباً.

قالت وهما يسيران في الشارع وذراعه تحتك بذراعها فتشتت تركيزها: «عشت هنا كل حياتي. اشترى والداي المنزل منذ ولادتي كقاعدة. كانا يسافران كثيراً، وأبي متسلق جبال، وأمي كاتبة رحلات.

وعندما تزوجا، أصبح من النادر أن يعودا إلى البيت».

ـ أكان ذلك صعباً بالنسبة إليك؟

ـ لم أعرف شيئاً آخر.

مربيات ومدرسة داخلية وجاي، التي لطالما كانت موجودة. فقد تركت عملها لتبقى معها بعد مقتل والديها.

ـ تعارفا في الطائرة، وعندما قُتلا، قررت عمة أبي، وهي الوصية عليّ، أن تحوّل المنزل إلى شقق للإيجار وبهذا يمكنني أن أحتفظ ببيتي، وأن أحصل دخلاً.

ـ امرأة عملية.

ـ نعم. إنها عملية ورقيقة وأنا أدين لها بالكثير. لقد باعت بيتها وجاءت لتعيش معي في الشقة المطلة على الحديقة، لكي أتمكن من أن أعود إلى البيت أثناء الإجازات، إلى أن كبرت وأصبحت أعيش وحدي.

لم يعلق شيئاً بينما تابعت: «بعدئذ انتقلت إلى الطابق الأعلى. شقة الحديقة لها باب خاص كما ترى. ورأت أنني يجب أن أكون حرّة في دخولي وخروجي».

وضحكت: «هذا ما قالته. لدي شعور بأنها أرادت أن تتخلص من شقة الحديقة، فهي صغيرة للغاية».

ـ وما رأيك بالعناية بالحديقة؟

ـ أعشقها. يوماً ما، عندما أصبح مشهورة، وغنية، سأجعل لنفسي حديقة كاملة.

وأسرعت تضيف: «ثمة فتاتان تعملان في مصرف وتسكنان في الشقة فوقها. وقد أخذ سين مخزن الأشياء القديمة».

ـ سين؟

ـ إنه ممثل، غالباً. عندما دققت الباب هذا الصباح ظننتك هو وإلا لَلَبست ثيابي، قبل أن أفتح الباب.

www.elromancia.com

ونظرت إليه لكن وجهه كان جامداً. كانت تعرف هذا الأسلوب، فالصمت يثير أعصاب الناس، ولطالما لجأت الى هذه الوسيلة. إذا بقي المرء صامتاً فترة يهبّ الشخص الآخر ليملأ الفراغ.

لكن معرفتها هذه لم تمنع أعصابها من أن تثور فملأت الفراغ: «يمرّ بي عادة ليشرب فنجان قهوة».

ولم تلق جواباً.

إذا بقي كساندر بهذا الشكل مدة أطول لسردت عليه قصة حياتها بأكملها. كل شيء، حتى ولعها بمطرب شعبي عندما كانت في الرابعة عشرة.

ـ هذا إذا كنت في البيت حين ينهض من النوم.

ـ وماذا تعملين؟

ـ ماذا أعمل عندما أنهض من النوم؟

الارتياح الذي تملكها حين خرج عن صمته تلاشى الآن وزاد اضطرابها.

ـ بل عندما لا تكونين بين وظيفة وأخرى، ماذا تفعلين لكي تصبحي غنية ومشهورة؟

رباه. لقد أدركت أنها ارتكبت خطأً حالما زل لسانها بهذه الكلمات، لكنها تصورت أنها غطّت حماقتها.

ـ وجهك يحمرّ ارتباكاً يا لورا.

كان العار يتملكها لخداعها. ولكن إذا رآها محمرّة الوجه، فستنسى ذلك: «حسناً، أنا...».

سكتت، وقد فرغ ذهنها تماماً.

وسارع إلى نجدتها: «لا تخبريني».

ـ ألا تريد أن تعلم؟

ـ لقد تكهّنت.

كاد قلبها يكفّ عن الخفقان، فيما تابع هو: «أنت ممثلة فاشلة».

ماذا؟

ـ هل أنا على حق؟

ـ آه، لا!

لم تتأوه بصوت مرتفع في الواقع. لقد منحها عذراً جيداً لبقائها من دون عمل. الفشل غطى كل شيء، وجعلها قادرة على قضاء بعض الوقت معه. لكنها وبدلاً من أن تتمسك بهذه الفرصة بيديها الاثنتين، تصرفت وكأنها شعرت بالإهانة لمجرد أن يظن بها مثل هذا.

لم تستطع أن تتصور شيئاً أسوأ من أن تعيش الحياة التي يعيشها جارها الساكن في الطابق الأعلى: القلق المتوتر دوماً على مظهره، والشكوى دوماً من منافسه الذي يسرق الأدوار من تحت أنفه.

أرادت أكثر من ذلك، أرادت أن تحدث أثراً في هذا العالم. فما الذي جعلها تضيّع وقتها على كتابة قصة عن فرد من أسرة مالكة؟ وتساءلت عما فعلته جاي حين شجعتها!

أدركت أن الأمير ألكسندر ما زال ينتظر جوابها عن عملها الذي هو أفضل من عمل سين. . . عمل لا يفضح لعبتها.

حاولت أن تبتسم: «أظنني ما زلت أبحث عن مكاني المناسب. عن عمل بمكنه أن يتناسب مع طموحي البالغ وموهبتي المحدودة».

ـ كأي شخص آخر في الواقع. لكن بما أنك امرأة صاحبة أملاك فهذا بمكنتك من الاختيار.

ربما هي حساسة للغاية، لكن كلامه هذا لم يشعرها بالزهو. فردّت عليه بحدة: «لا يحصل كل إنسان على مكانه المناسب عند ولادته. أنت حصلت لأن أباك احتل هذا المركز قبلك، ولأنك رجل».

ـ لورا. . .

ـ ما رأي أختك بهذا؟ هل هي أكبر منك سناً؟

ـ بخمس سنوات.

ـ وهذا هو القرن الواحد والعشرين؟

ولم تنتظر جوابه، بل أردفت: «وكأن التاريخ يعرف ملكات ناجحات في الماضي، أو حتى رئيسات وزارة».

ـ فهمت ما تعنين يا لورا.

ـ لا بأس، أنا أملك بيتاً، لكنني لا أجلس أحدّق إلى أنحاء الغرفة طوال اليوم. من تظنه يدفع نفقات صيانة المبنى؟ ومن يعمل كنادلة في مطعم عندما يفوق الإنفاق الدخل؟ صدقني، إن ذلك ليس مجالاً لاختيار عمل.

ـ لم أكن أنتقد.

ـ لا؟

بدا كلامه كذلك حقاً. فهزّ كتفيه: «لا. اسمعي، ربما كلامي لم يكن مناسباً، لا تتاح لي فرصة لقاء غرباء كل يوم، خصوصاً بهذا الشكل».

هل يعتذر؟ تراهن على أن هذا يحدث لأول مرة.

ـ أنا أحاول فقط أن أعرفك، هذا كل ما في الأمر. حياتي كتاب مفتوح، لكنك منطقة غير مكتشفة.

ـ وهل أنت مكتشف مناطق؟

رفع يده مدافعاً: «بدأ ذلك يبدو أشبه بضربة فأس في دغل كثيف لا يمكن اختراقه».

يجب ألاّ يظن ذلك، وإلا سيبدأ في التساؤل عما تخفيه. ولمحت نظرته الجانبية إليها.

ـ أنا آسفة. لم أشأ أن أكون عصبية بهذا الشكل. أظنني حساسة بالنسبة إلى بعض الأمور. على الفتيات من أمثالي أن يثبتن وجودهن، ويتركن لمستهن على الحياة.

ـ هل تعلمت في كلية؟

ـ تعلمت الإنكليزية في «أكسفورد».

وتخرجت بامتياز لكنها لم تقل ذلك وإلا لما صدّق أنها لم تعثر

على وظيفة مناسبة.

ـ يبدو أن مؤهلاتك تفوق ما يتطلبه عمل النادلة في مطعم.

ـ ربما. لكن برأيي، لو أرغم كل شخص على أن يخدم مدة أسبوع على الأقل في حياته، لأصبح العالم مكاناً أكثر رفقاً.

ثم هزّت كتفيها وأضافت: «لم أشأ أن أدرّس كما لا أحب أن أعمل في مكتب».

وكان هذا صحيحاً.

ـ هذا يحدّ من خياراتك بكل تأكيد.

ـ آخر رب عمل لي، دعاني إلى استكشاف فرص المهن الأخرى، ورأى أنني قد أنجح في رعاية الأطفال.

رفع حاجبه يطالبها بالتفاصيل فقالت بسرعة: «إنها قصة طويلة».

فقال: «لديك، على الأقل، حرية الاختيار».

ـ أتريد أن تقول إنك تفضل لو أنك لم تكن وليّ عهد «مونتوربنو»؟

كان قد خطر في بالها مؤخراً أنه نال مركزه بالوراثة، لكن هذا لا يعني أنه سعيد به.

فقال تاركاً سؤالها من دون جواب: «قلت إن لديك حق الاختيار ولكنك لا تفعلين».

أوشكت أن تقول له إن بإمكانه أن يتخلى عن لقبه، لكنها تراجعت. رأيه فيها لا يهم. هو على صواب في أن لديها الخيار، وخيارها أن تكون صحافية، وقد حان الوقت لتتصرف كصحافية قبل أن تجرحه بشكل عميق بحيث يستقل أول باص ويهرب منها. سألته: «ماذا كنت لتفعل لو كان لديك حرية الاختيار؟»

ـ لم أنغمس قط في ترف التخيلات.

كان هذا جواب رجل اعتاد أن يتهرب من الإجابة على أسئلة لا يريد الإجابة عنها. لكن قرّاءها يريدون أن يعلموا.

وهي حقاً تريد أن تعلم! فقالت مداعبة: «هيا، ربما رغبت يوماً في

أن تصبح سائق سيارة سباق أو رياضياً، فكل الأولاد يحلمون بذلك. إنك في إجازة من الحكم فاحلم قليلاً».

ـ أنا، مع الأسف عملي منذ الولادة، مجرد من التخيلات والأحلام كلياً.

ما الذي يفعله هنا إذن؟ يمثل دوراً؟ يتظاهر بأنه عادي؟ كانت قد اقترحت عليه ذلك، قائلة إن هذا يتلاءم مع قضية «أسكوت» بأكملها. ولكن لا أحد أرغمه على ذلك، وكانت لترافقه حتى لو رفض شرطها الوقح.

لعله يؤمن بما قاله، إلا أنها لا تفعل. الرجل العملي الذي لا يحلم ما كان ليسير في هذا الطريق العادي قاصداً السوبر ماركت ليشتري مكونات عشائها.

لكنها لم تشأ أن تتحداه: «أرجو ألاّ نكون قد تأخرنا فلا نحصل على ما نريد. أنا آتي عادة في الصباح. لكنني ظننتك قد تحب ذلك».

ـ المساء فترة مناسبة للتبضع إذ يمكنك المساومة.

نظرت إليه غير مصدقة: «عفواً، أنت تعرف هذا؟»

ـ أعرف عن الاقتصاد. المواد الغذائية التي تفسد بسرعة تصبح أرخص ثمناً آخر النهار كيلا تبقى لليوم التالي.

ما إن تجاوزا المنعطف حتى أخذ أحد الباعة يعلن عن تخفيض سعر بضاعته، وكأنما إثباتاً لكلامه.

ـ أتحسنين الطهي يا لورا؟

ـ ماذا؟

ـ كنت تهددين بتحضير عشاء.

توقفت وقالت: «وأنت تتساءل إن كان عليك أن تجازف؟ شكراً لثقتك هذه».

ـ فكرت لتوّي في أن نجرب البيتزا. وبهذا ليس عليك أن تحضريها.

رأت طيف ابتسامة بغضن زاويتي فمه وتماشى مع لمعان عينيه الدافىء وكأنما رفعت الحواجز بينهما. وانحبست أنفاسها لحظة.

قال: «حسناً؟».

نقص الأوكسيجين أشعرها بالدوران. لكنها عادت واستعادت اتزانها ثم حملت سلتها وقالت: «أنت لا تحاول التملص من التسوّق، أليس كذلك؟»

لم تحاول أن تجعله يحمل السلة فارغة، لأنها ستتركه يحملها ملآنة عند العودة، معتمدة في ذلك على رقته كرجل مهذب. عليها أن تغتنم الفرصة لالتقاط بعض الصور.

أجاب: «لا، أبداً. فكرت في أن تطلب وجبة بسيطة بدلاً من أجلس وأتفرج عليك وأنت تحضرين الطعام».

هل يمكنها مواجهة هذا التحدي الآن؟ فقالت: «ما الذي جعلك تظن أنك ستجلس وتتفرج يا كساندر؟ سأطهو طبقاً بالكاري كما علّمتني جاي، وأنت ستساعدني».

ـ جاي؟

ـ عمتي التي تسكن في الطابق الأعلى. لقد سافرت كثيراً وعلمتني الطهي.

ـ وأنت ستعلمينني الآن؟

كان يتكلم بنعومة، ومع ذلك سمعت في صوته حدة... تحذير من أنها تخدع نفسها إذا ظنت أن بإمكانها أن تعلمه شيئاً.

ـ أنت على وشك أن تصبح رجلاً جديداً يا كساندر.

قالت هذا بعد أن تخلصت أخيراً من توتر الأعصاب الذي شل تفكيرها، وابتدأت تستمتع: «من الأفضل أن ترتاح وتستمتع».

فضحك: «يبدو أن لا خيار آخر لديّ».

وتقدمت إلى طاولة عرض الخضار: «مرحباً تشارلي. ماذا لديك اليوم؟».

ـ مرحباً، أيتها الدوقة، وصلت في الوقت المناسب بالضبط. الموز بنصف الثمن، وست حبات خوخ بثمن أربع.

قالت ضاحكة وهي تناوله سلتها: «سأصدقك. سآخذ ست حبات خوخ ولا أريدها مهترئة».

ـ مجرد تفكيرك هذا جرحني في الصميم.

ـ أحقاً؟ حسناً، انتبه إلى أن لا تنزف على الفاكهة.

قالت هذا ضاحكة وهي تلتقط بصلة كبيرة أعطتها لكساندر فأخذها ونظر إليها ثم إلى لورا: «إنها بصلة».

تشارلي، الذي عرفها منذ كانت فتاة صغيرة، أشار برأسه باتجاه كساندر وقال ضاحكاً: «إنه بارع، أليس كذلك؟».

فقال كساندر متأملاً: «هل كان عليّ أن أقول شيئاً آخر؟».

بعد أن استغلت الحديث لتوجيه عدسة كاميرتها، ضغطت الزر داخل حقيبتها.

ـ أسآخذ اثنتين؟ مع بعض الفلفل الأخضر والثوم وقبضة من هذه البازلاء الخضراء.

ـ هل (بعض) هي إحدى تلك المكاييل القديمة الطراز؟

ـ أطلب من الرجل يا كساندر وهو سيعرف ما تعنيه.

التفت إلى البائع: «سآخذ اثنتين يا تشارلي، وبعض الفلفل الأخضر والثوم، وقبضة من البازلاء الخضراء».

سأله تشارلي: «هل تريدها قبضة صغيرة أم قبضة كبيرة؟».

فتدخلت لورا ضاحكة: «صغيرة».

وتابع كساندر: «وبعض الفريز».

فسأله البائع ضاحكاً: «بعض؟ الثوم والفلفل فقط يقال لها بعض».

ـ قدّم لي عرضاً لا يمكنني أن أرفضه يا تشارلي.

أخذا يتناقشان بمودة دقيقة أو اثنتين قبل أن يأخذ تشارلي الورقة

النقدية من كساندر وهو يقول: «أبعدي عني صديقك قبل أن يدمرني».

ـ إنه اقتصادي يا شارلي.

ـ أحقاً؟

ثم أعطى كساندر بقية نقوده وسلة الخضار، مضيفاً: «إنه يصلح لإدارة الحكومة».

وعندما التفت إلى زبون جديد نظر كساندر إليها وكأنه يسألها: «هل تصرفت جيداً؟».

ـ لم أتوقع أن تدفع أنت.

لم تعرف هل تُسر أم تنزعج لأنه دخل عالمها بسهولة. وإذا أملت أن تجعله يبدو أبله فقد فشلت.

ـ لم أكن أعلم أن الملوك يحملون المال نقداً.

ـ حتى في برجي العاجي كنت أعرف أن سائقي سيارات الأجرة والمطاعم وتجار السوبر ماركت يتوقعون أن أدفع نقداً لقاء خدماتهم وليس شيكاً.

ـ ما رأيك؟

ـ الوضع جيد. قد أعتاد على الحياة العادية.

ـ أنت لم تجرب ركوب الباص بعد.

ـ أهذا هو مشروعك للغد؟

الغد؟ هل سيقوم بذلك مرة أخرى غداً؟ كان قد قال لأسبوع، لكنه لا ينوي أن يمضي معها أسبوعاً بكامله. قالت: «لم أفكر في الغد، هل يمكننا أن نخرج من لندن؟ أعني هل عليك أن تدع الناس يعرفون مكانك؟ ماذا بالنسبة إلى حراسك؟».

ـ الذعر سيتملكهم إذا غبت أكثر من ساعتين. وفي هذه اللحظة، يعتقدون أنني في سريري أعاني من حرارة مرتفعة.

ـ لا بد أن هذا يجعل. . .

كادت تقول إن هذا يجعل الخروج مع النساء صعباً. . . لكن بدا

لها ذلك تطفُلاً منها.

إنما ليس أكثر تطفلاً من التقاط الصور خفية. إنها صحافية والأسئلة المتطفلة من صميم مهنتها.

ـ لا بد أن هذا يجعل الخروج مع النساء صعباً.

ـ أحقاً؟

ـ كيف يخرج الأمراء في المواعيد الغرامية إذن؟

ـ بهذه الطريقة!

وفيما راحت تجاهد لتعرف ما إذا كان هذا بسيطاً أو معقداً كأي موعد غرامي، سألها: «إلى أين سنذهب الآن؟»

فأخرجت مغلفاً قديماً من جيبها وقرأت في القائمة: «أحتاج إلى دجاج وباذنجان من الناحية الأخرى من السوبر ماركت. كما أحتاج إلى بهارات وعلبة حليب جوز الهند».

ـ لا تنسي القشدة للفريز.

فقالت متذمرة: «أفسدت خطتي للحلوى. أردت أن أسلق الخوخ».

ـ سنُبقي ذلك إلى الغد، أما الفريز فلا يحتمل الحفظ.

ـ لا. هل أنت مصرّ على القشدة؟ لديّ آيس كريم في بيتي وهو أفضل بعد الكاري.

ـ يمكننا أن ندلل نفسينا ونأكل الإثنين. هل هذا مسموح في العالم العادي؟

كان يسخر منها. لم يفعل بشكل واضح، لكن التغضن حول عينيه فضحه. كيف أمكنها أن تظنه متكبراً أو متغطرساً؟ بادلته الضحك: «ليس مسموحاً به وحسب بل إلزامياً. لكنني أخاف أن نصاب بالغثيان بعد أكل هذا الفريز».

ـ لا، أبداً. والسر في ذلك هو أن تتناوليه على مهل، كحال الأشياء اللذيذة الأخرى.

قال هذا بصوت رقيق برقة نسيم الصيف. وللحظة، ظنت أنها تعرف بالضبط ما يفكر فيه.

لكن جسدها لم يفكر بهذا الشكل. شعرت وكأن كلماته تلامسها وعندما وضع يده على ظهرها ليساعدها على أن تشق طريقها في الزحام، شعرت بحرارة يده تحرق جلدها.

***

٦ ـ المستبد

شعر ألكسندر وكأنه أطلق من قيوده، فقد كانت حياته محكومة بالبروتوكول، والقواعد. كان يعلم أن الناس يتهامسون حول ما يفعله، ثم يناقشونه ويحللونه ما جعل الحذر في حديثه طبيعة ثانية فيه، وكذلك إخفاء أفكاره والتحفظ في ابتساماته. خاصة في حضور النساء الشابات، هذا إذا أراد إن يتجنب النظرات الجانبية والتخمينات.

أما هنا، فلا أحد يعرفه، لا أحد يهتم بنظراته إلى لورا. كان مسروراً برؤيتها سعيدة ما جعله يظن إنها ليست دوماً كذلك.

هنا، يمكنه أن يتحدث إلى الغرباء من دون تحفظه العادي، وأن يشتري ما يريد ويحمل سلة لورا من دون أن ترتفع الحواجب مستفهمة.

حتى تلك الحركة البسيطة، حين وضع يده على ظهرها ليساعدها على السير في الزحمة، لم تكن شيئاً يستدعي الانتقاد أو يلحظ كشيء استثنائي، إنما شكّلت مصدر بهجة لقلبه.

لكنه وحده يعرف ذلك.

هنا، إنه لا أحد، ويمكنه أن يسقط القناع لفترة. لورا شخص يسرّ كل إنسان أن يراه، فالناس يتجاوبون مع دفء شخصيتها، مثله تماماً.

إنها مخطئة في اعتبار هذا شيئاً عادياً. إنه غير عادي على الإطلاق بالنسبة إليه.

قال وهما يقتربان من دكان صغير سبق ولاحظه: «سأشتري العصير لهذه الوليمة».

ـ لا حاجة لذلك.

قالت هذا واستمرت في طريقها وكأن الأمر انتهى. فأمسك بذراعها وأدارها إليه.

ـ هيه... !

وانقطعت صرختها حين فقدت توازنها، تمسكت بقميصه لتثبّت نفسها فيما وضع ذراعه حول خصرها.

فتحت فمها لتحتج قبل أن ترفع عينيها إليه، لكنها عادت وعضّت على باطن شفتها الجميلة.

قربها منه بهذا الشكل، وقد توهّج خداها وهي تدرك أنها لا تتحدث إلى الممثل الذي يعيش في الشقة العليا، أو إلى أحد أصدقائها الذين كانت تقودهم من أنوفهم، جعله هو أيضاً يعجز عن إيجاد كلماته.

هذا الصباح حاول أن يشرح لكاتي أن العناق أمر يجب القيام به على انفراد. لكنه فهم الآن شعورها حين ارتمت بين أحضان ذلك الفتى وعانقته أمام الناس. أرادت أن يراها العالم كله، فقط لتريهم مدى سعادتها.

قال: «أريد أن أشتري عصيراً يتماشى مع العشاء الذي ستعدينه».

ـ آسفة...

لكنه لا يريدها أن تعتذر، فقد عشق حقيقة أنها لا تفكر قبل أن تتكلم. قال: «لا. أرجوك، لا أريدك أن تعتذري. إنني أمضي وقتاً ممتعاً. إنها إجازة رائعة من الحياة العادية».

ـ هذه هي الحياة العادية كساندر.

ـ ليس بالنسبة إليّ.

وأمسك بيدها ثم أردف: «لا يمكنني أن أفعل هذا في الحياة العادية. في حياتي أنا العادية على الأقل».

ـ لا...

استطاعت أن تقول هذا فيما ازداد احمرار وجنتيها وأظلمت زرقة عينيها تجاوباً مع موقفه هذا. عليه أن يتراجع، ويهدىء الجوّ بينهما قبل أن يصبح هذا اللقاء مصدر إرباك لهما معاً.

قال: «هل توافقين؟ ما أجمل هذا! إذن، اختاري أنتِ الطعام بينما أختار أنا الشراب الذي يناسبه. هذا عدل».

ـ بل ليس كذلك...

شرعت تتحدث وهي تجاهد لاستعادة تحكّمها في نفسها. لكن صوتها اختنق في حلقها فتنحنحت وحاولت مرة أخرى: «لا علاقة لذلك بالعدل بل هو مجرد كبرياء الرجل الرجعي».

أجاب مستمتعاً بعد أن نسي طعم حرية الكلام: «أحاول فقط أن أحصل على بعض المساواة هنا».

ـ لا بأس بك حين تتحدث عن المساواة فيما...

ـ فيما ماذا؟

ـ لا شيء.

ورفعت يديها علامة الاستسلام: «آسفة. فأنا أنجرف في الكلام أحياناً، وأنسى نفسي».

ـ أنت فاتنة بهذا.

ازداد احمرار وجهها وبقي بصرها منخفضاً مغطى بأهدابها. وضع إصبعه تحت ذقنها وأرغمها على رفع وجهها والنظر إليه، فعضّت شفتها السفلى متوترة.

تركها مكرهاً فيما قال: «لعلي لا أعرف الكثير عن الخضار، لكن العصير ميدان خبرتي».

ـ أحقاً؟

ـ نعم.

ـ لكن لا يمكننا احتساء العصير مع الكاري. والتقاليد تقضي بأن أعدّ لك الشاي بعد العشاء لتتمكن من هضم البهارات.

- لا تخبرني عن التقاليد، فلديّ ألف سنة منها أعيش فيها. ولعل هذا جديد عليّ لكنني واثق من أنّ التقاليد في العالم العادي تقضي بأن أحمل الحلوى أو الورد لامرأة تدعوني على العشاء.

- لكنك اشتريت الفريز وهذا يكفي.

- أنت لا تلينين.

كانت عنيدة لكنه يحب ذلك، يحبه كثيراً: «لا بأس. سأرضخ لرغباتك».

ولم تستطع أن تمنع ابتسامة انعشت قلبه.

- ألا يحق لرجل في عالمك الحقيقي أن يحمل الورد للمرأة التي تعجبه؟

وبادلها الابتسامة.

ارتبكت لحظة وكأنما صعُب عليها التفكير في أنها تعجبه ثم تمالكت نفسها وقالت بحزم ساخر: «حسناً جداً، هذه المرة فقط. وغداً. . .».

سكتت وقد توهج وجهها وكأنما أدركت فجأة أنها تجاوزت حدودها.

كره ذلك، فهذا ما يفعله الآخرون وهو يريدها أن تشعر أن بإمكانها أن تقول ما تريد، فقال يشجعها، «غداً؟ هل قررت ما سنفعله غداً؟».

ترددت وقطبت جبينها: «ماذا تحب أن تفعل يا كساندر؟».

يودّ أن يمضي اليوم معها من دون أن يفعل شيئاً. . . لا بل كل شيء. . وقال: «هذا عالمك يا لورا. أنا في تصرفك كلياً».

وكأنما فكرة وضع نفسه في تصرّفها كانت مبهجةً ومثيرةً، فابتعد على الفور ودفع باب محل الزهور وهو يكمل كلامه: «. . . في كل شيء ما عدا الزهور».

أخذت لورا تنظر إليه وهو يتحدث بدراية عن الورد مع صاحب المحل.

لم تشعر بأي ضيق وهي تنظر إليه وتستمع إلى كلامه، ولعل هذا ما جعلها تنسى أن تلتقط له صوراً. أو لعل خفقان قلبها بسبب لمسته ما زال يشغل بالها. وساورها شعور غير مريح بأنه مهما حدث في الأيام القليلة الآتية، ومهما كان مصير مهنتها بعد هذا السبق الصحفي، لن تحفل حياتها قط بمثل هذه الفرصة غير العادية.

* * *

أول ما رأته لورا وهي تدخل شقتها هو الضوء الأحمر لجهاز الإجابة. وانتفض قلبها، لا بد أنه تريفور ماكارثي!

لم تكن قد أجابت على اتصاله بعد أن أرسل لها الكاميرا. لم تشأ أن تعذب نفسها بمسألة ماذا بإمكانها أن تسلمه. إنما لديه الآن صورة الأميرة كاترينا وهي تغادر شقتها، وقد أصبح متلهفاً ليعرف ما يجري.

حدثت نفسها بأن الأمر يمكن أن يسوء أكثر. يمكنه أن يزورها شخصياً، بعد أن عرف أنّ لها صلة بالأميرة. لكن هذا ليس مشكلة، فبإمكانها أن تخبره الحقيقة عن زيارة الأميرة مغفلة ذكر زيارة خالها أيضاً. وجمد الدم في عروقها لفكرة أنه قد يصادف كساندر. إنه يتساهل معها حالياً ويمنحها فرصة لتثبت كم هي عديمة النفع، فيصبح لديه حجة لكي يتخلى عنها نهائياً.

لكن إذا عرف أن الأمير ألكسندر زارها شخصياً فلن يجازف. سيعطي القصة لشخص آخر لينجزها وسيكتفي بالتلميح. صورة واحدة تكفي لبيع ملايين النسخ من صحيفته، وستخسر هي أي فرصة لرؤية كساندر مرة أخرى.

- هل أحمل هذه الأغراض إلى المطبخ؟

- عفواً؟

- إذا أردت أن تستمعي إلى رسائلك الهاتفية؟

لم تتغير ملامح كساندر فهو ما زال مبتسماً، لكنها لا تعرفه بشكل كافٍ لكي تميّز بين وجهه الحقيقي والزائف.

- لعله مندوب مبيعات لم يجد من يشتري بضاعته.

وتمنت فعلاً أن يكون كذلك.

حتى من المطبخ لن يفوته سماع صوت رب عملها السابق وهو يطالب بمعرفة ما حدث معها بالنسبة إلى صاحب السمّو الأمير... الخ... إلخ...

- أو لعله صاحب مطعم البيتزا يرجو أن أتمكن من العمل الليلة أو سين يريد أن يستعير لفافات الشعر. لا، انتظر، لقد سبق وأخذها.

وقطبت جبينها. ووجدت ذلك أسهل من أن تستمر في رسم ابتسامة مرحة على وجهها. لكن إذا كانت ترجو أن تجعله يضحك فقد خاب أملها.

قال وهو يخرج الفريز من السلة: «أو قد يكون شيئاً هاماً. سأضع هذه في ثلاجتك».

ثم دخل المطبخ وأغلق الباب خلفه لكي تتحدث على انفراد. لقد أوضح تماماً أنه يعرف أنها لا تريده أن يسمع. على أيّ حال، لطالما كان وجهها كتاباً مفتوحاً. ولهذا، كان الناس يستغلون طبيعتها الطيبة. وإذا شاءت أن تبقى في مهنتها، فعليها أن تفعل شيئاً ما وتضع قناعاً يخفي مشاعرها.

تنفست بعمق وسارت إلى الجهاز. رسالة واحدة! وضغطت الزر.

كانت عمتها جاي: «حبيبتي. الرجل الذي أنت قمت ببعض العمل لحسابه مؤخراً، جاء أثناء غيابك عن البيت. وهو يسأل إن كان بإمكانك أن تساعديه في المستقبل القريب».

ابتسمت بارتياح. حذر جاي الطبيعي في استعمال المجيب الآلي رائع. إنها تحسب حساباً لمن يمكن أن يسمع هذه الرسالة.

وتمتمت: «فليباركها الله».

وضع كساندر السلة على مائدة المطبخ ثم وضع الفريز في الثلاجة، محاولاً ألا يفكر في الضوء المشع على هاتف لورا، وكيف

شحب وجهها حين رأته. حاول ألا يهتم بهوية ذلك الشخص المهم في حياتها. فهذا ليس من شأنه أو من حقه. حتى أنه ليس من المفروض أن يكون هنا، وأن يتملكه هذا الشعور.

لم يخدع نفسه يوماً، لكنه يفعل ذلك الآن. لقد فكّر...

لا... لم يفكّر... لم يفكر في شيء منذ اللحظة التي دخل فيها غرفة الحارس والتفتت إليه لورا فارنديل بعينيها الواسعتين الزرقاوين. منذ شعر بنعومة بشرتها تحت أصابعه.

وها هي مخيلته لا تنفكّ تعيد تلك الأحاسيس إلى جسده، وتغريه لخوض التجربة مرة أخرى.

بدأ يفرغ السلة. يحتاج لأيّ شيء يشغل تفكيره عن صوتها الذي يتناهى إليه همساً عبر الجدار، وعن رنين ضحكتها الناعمة.

انفتح الباب خلفه فتوقف عن التفكير واستمرّ في إفراغ السلة.

قالت لورا ضاحكة: «ها قد تعودت على الأعمال المنزلية».

فقال ومزاجه يفسد مرحها: «هذا ليس عادياً أبداً».

- ربما ليس في عالمك.

إذا ما لاحظت تبدّل مزاجه، فهي لم تتأثر بذلك. لعلها لم تلاحظ. لعل الذي اتصل بها جعلها أسعد من أن تهتم.

سألته وهي تضع الخضار في الثلاجة: «هل تريد فنجان شاي؟ يمكننا أن نجلس خارجاً في الحديقة».

- يا لعادات الإنكليز.

قال هذا شاعراً فجأة بأنه غريب، غير ذي أهمية وخارج محيطه. لم يعجبه الشعور بعدم الأهمية، خصوصاً في حياة لورا: «هل سنأكل سندويشات خيار وفطائر؟».

- ومربّى الفريز المعدّ في البيت؟

سألته مازحة، مبتهجة: «آسفة. أنسيت أن هذه حياة عادية؟ وليست صورة من هوليوود عن انكلترا. لكن ربما لدي علبة بسكويت

بالشوكولا في مكان ما. وإذا شئت يمكنك أن تشرب القهوة أو شيئاً بارداً»

ـ وماذا عن الطعام؟ أما ينبغي أن نبدأ بتقشير البصل؟.

ـ ليس على الفور. فتحضير الطبق لن يستغرق وقتاً طويلاً.

ثم استجابت أخيراً للهجته فالتفتت إليه: «إلا إذا كان لديك حظر تجوّل. هل سيدق خدمك أجراس الإنذار ويستدعون الحراس إذا لم تعد قبل هبوط الليل؟».

ورفض أن يجعل الأمر سهلاً عليها، فقال: «إذا شئت أن أرحل باكراً، فقولي ذلك فقط».

كانت قد أدركت ما إن دخلت المطبخ، أن كساندر عاد مستبدأ جافاً. أتراه تضايق لأنها اهتمت بذلك المجهول الذي اتصل بها؟ أم أن ضيقه ناتج عن أنّ لديها من يتصل بها في حين من المفترض أن تحصر اهتمامها كله به وحده؟ وفي لحظة تحوّل مزاجها من الشعور بالذنب إلى الغضب.

قد يكون ملكاً في قصره لكن هذا بينها وهذه حياتها.

فقالت تقذف الكرة إلى ملعبه: «القرار قرارك كليّاً».

فهز كتفيه: «خطر في بالي أنك لا تتوقعين أن أمكث طوال السهرة».

لم يجب عن سؤالها، لكنها هي أيضاً لم تجب عن سؤاله.

وأضاف: «ربما لديك مشروع آخر لقضاء سهرتك... التزام مسبق».

التزام. إنها كلمة لطيفة تغطي الإحتمالات كلها، فسألته: «أتعني موعداً غرامياً؟ لقد دعوتك لتبقى كساندر».

ـ هذا كرم منك، لكنني أعتقد أنني دعوت نفسي بنفسي. نسيت أن الناس يفترضون أنّ ما أنطق به بصوت مرتفع هو أمر.

ـ ليس أنا. لو كان لديّ موعد لأخبرتك.

ـ إذا ما أجّلتِ موعد شخص ما...

وتركها تكمل بقية الجملة.

هكذا إذن؟ سمعها تتحدث إلى جاي فظنها حطّمت قلب فتى مسكين من أجله. يا لغطرسة بعض الرجال! إنه لا يستحق أن تخلّصه من التعاسة، لكنها أرادت أن تعيد الابتسامة إلى وجهه.

ـ كانت الرسالة من عمتي يا كساندر، ثمة شخص زارني ليتحدث إليّ عن عمل.

ـ الآن؟ لا تدعيني...

ـ نعم الآن. بحق الله، إذا لم تشأ أن تشرب الشاي، فاسكب كأس عصير واخرج اشربها في الشمس واهدأ.

ـ وماذا عن سين؟

ـ ما هذا؟ عشرون سؤالاً؟

ـ ألن يأتي... ليشرب القهوة؟

أدركت أنه ليس مشككاً أو ارستقراطياً متعالياً، بل غيوراً وحسب. هذا الرجل، هذا الأمير الذي يحكم دولة كاملة، والذي يكفي أن يشير بإصبعه ليحصل على أجمل نساء مونتورينو أو أي مكان آخر... يغار من جارها النرجسي الذي يعشق ذاته.

لم تعرف ما إذا كان عليها أن تخاصمه أو تسخر منه أو تعانقه. لكنها لم تفعل أياً من هذا، فقد تأثرت للغاية من عدم ثقته غير المتوقعة هذه وشكه بنفسه.

كان هذا... إنسانياً للغاية... وعادياً للغاية.

ـ سين يلعب دوراً في مناسبة وطنية، وسيعود إلى بيته متأخراً جداً.

كانت قسوة منها ألا تطمئنه، لكنه لم يكن الوحيد هنا الذي يحتاج إلى طمأنة. لقد أرادت أن يعانقها في السوق، وقد جاءت على أمل أن يعانقها.

سألها ليطمئن: «سيتأخر إلى متى؟».

ـ سواء أجاء باكراً أم متأخراً، لا فرق في ذلك، يا كساندر، فهو لم يحصل مني قط على أكثر من فنجان قهوة.

ـ ألست . . . ؟

لم تجب ورفعت حاجبيها وكأنها لم تفهم سؤاله. فعاد يوضح: «أنت وسين؟».

أراد أن يعلم ما إذا كانا عشيقين.

ـ أنا لا أقيم علاقة مع المستأجرين عندي، ولا حتى الوسيمين منهم.

سكبت له كأس عصير وضعتها في يده قائلة: «اخرج إلى الحديقة ريثما أضع هذه المشتريات في أماكنها».

جلست معه في حديقتها الصغيرة، على أحد مقاعد الخيزران القديمة التي حملتها جاي معها من أحد أسفارها إلى الشرق الأقصى. كان قد أغمض عينيه ورفع قدميه فيما ارتسمت على فمه ابتسامة خفيفة تُنبىء برضاه عن الحياة.

قال: «هذا رائع، يمكنني أن أتعود على الحياة العادية».

ـ إذا ثار الفلاحون في بلدك، فلن تكون تعيساً جداً إذن؟

قال بحدة تتعارض مع مظهره الناعس: «شعبي ليسوا فلاحين».

ـ إنه مجرد تعبير يا كساندر.

ـ أعلم هذا. وبالرغم من ذلك، فكلهم مثقفون تقدميُّو التفكير.

ـ إنهم مجردون من حق الانتخاب.

ـ أتظنين ذلك؟ المونتورينيون جبليون، ولا يمكن لأحد أن يرغمهم على عمل ما لا يريدونه. لديهم طرقهم الخاصة في إظهار مشاعرهم. مجالس بلدياتهم تتحدث بلسانهم. ولكن كل المظاهر تظهر العكس، فأنا مستبد خيِّر. حتى أني لا أضرب الخدم، بالرغم من الطريقة التي تصرفت بها تلك الفتاة الحمقاء أمس.

ـ لا؟

سألته وكأنها بحاجة إلى اقناع.

ـ يبدو أنه كان يومها الأول، وكانت متوترة. تحدثت إليها هذا الصباح راسماً أحسن ابتساماتي لأطمئنها إلى أنها لن تُطرد من عملها. أرجوك لا تخبري أحداً فهذا سيسيء إلى صورتي إذ من المفروض أن أبدو مستبداً من دون شعور.

فقالت تُطمئنه: «إنك تحسن لعب دورك. عليّ أن أخبرك، بصفتي مراقبة محايدة، أنك فشلت في الامتحان العملي. فأنت على أيّ حال، تعيش في الماضي».

ـ عندما تتعاملين مع ألف سنة من التقاليد، يكون التطور بطيئاً. وجدُّي رجل عجوز يتمسك بطريقته في معالجة الأمور.

هذا صحيح. إنها إذن مخطئة في هذا أيضاً.

ـ ستجري تغييرات عندما . . .

وجاء دورها لتسكت وتفكر في ما كانت ستقوله.

ـ عندما يموت جدي وأصبح حاكم البلاد اسماً وفعلاً؟

أكمل كلامها ثم ابتسم ابتسامة جافة أخرى وأضاف: «أترين مشكلتي؟ الأمر ليس لعبة حيث يتوجب على الخاسر أن يحسّن مهاراته. التقاعد من هذا العمل نهائي».

ـ أخبرني عن مونتورينو. رأيت صوراً لها وهي رائعة الجمال.

ـ وهي رائعة يا لورا. جبال وكروم وبحيرات وقُرى وادعة. حتى العاصمة تبدو وكأنها من الحكايات الأسطورية.

ـ ولكن خلف هندسة مبانيها التي تعود إلى القرون الوسطى، يختبىء قطاع مصرفي عصري.

هز كتفيه: «أصحاب المصارف يحبون السلام. ولو كان للبلاد أهمية استراتيجية لقضي علينا منذ قرون».

ـ تبدو كقطعة من الفردوس.

- بل إنها الفردوس نفسه.

تأملت حديقتها الصغيرة. كانت الورود المبكرة تعطّر الجوّ والنباتات المزهرة تتدلى خارج أحواضها.

فقالت وهي تستند إلى الخلف: «هذا ما يظنه الكسالى بالتأكيد».

لو كانت صادقة مع نفسها، لاعترفت بأن هذا ليس ما كان في ذهنها عندما عرضت عليه أن يحاول تذوّق الحياة العادية من دون الامتيازات الملكية. فقد كانت ترجو أن يعاني، ولو قليلاً.

ولكن، يا له من رجل! وأغمضت عينيها. لا داعي للعجلة. يمكن للبصل أن ينتظر.

* * *

تأملها كساندر لحظة متعجباً كيف أغمضت عينيها ثم استغرقت في النوم على الفور.

من تكون هذه الفتاة التي اعترضت حياته؟ كارل هو الوحيد الذي يعلم بمكانه الآن، إذ لا بد أن يعلم أحد بمكانه تحسباً للطوارىء. لقد تملكه غضب لا مبرر له من كارل لأنه أثار شكوكه وطالبه بتوخي الحذر.

لم يشأ أن يشكّ فيها. أراد أن يطرح الحذر جانباً ويتجاوب مع انعكاس شعوره بالوحدة الذي رآه فيها. شيء ما حثه على أن يمسك بيدها من دون اهتمام بالنتائج.

ولكن لما هي وحيدة؟ إنها جميلة وبالغة الحيوية، مليئة بالأفكار التي يسعدها مشاركته بها سواء أحب سماعها أم لا. إنها امرأة مرحة يسرّ أي رجل أن يمنحها قلبه بسرور. مرّ كل هذا في ذهنه فأخذ يفكر في أنه حان الوقت ليسأل نفسه عما كانت تفعله أمام منزله الليلة الماضية، وإلى أين كانت ذاهبة؟.

بدا وكأن إحساسه بالخطر توقّف منذ وقعت نظراته عليها، وكأن غريزة البقاء لديه هجرته.

أو لعله أراد أن يعتقد أنها مواطنة عادية متحمسة حدث أن كانت مارّة في اللحظة الحرجة، كما قالت عن نفسها بالضبط.

وهل هذا محتمل؟ بحسب تعليق كاتي.

هذه هي فرصته ليعلم.

تركها نائمة في حديقتها ودخل إلى غرفة جلوسها. كانت صغيرة إنما أنيقة ومريحة، وأرضها الداكنة مغطاة بسجادة قديمة يدوية الصنع. رأى تحفاً صغيرة غريبة وثمينة من بلاد بعيدة موضوعة على الرفوف، وأريكة تبنية اللون، وكرسي بذراعين، وجدران مليئة بالكتب، فأخذ يقرأ عناوينها: رحلات، سير حياة أشخاص، تسلق جبال. إنها اهتمامات غريبة لامرأة تخاف المرتفعات. لكنها قالت إن أباها كان متسلق جبال.

اسم (فارنديل) لم يكن عادياً. لا بد أن التحقق من ذلك أمر سهل.

ولاحظ صفاً صغيراً من الكتب لبروس فارنديل وصورة رجل أشقر على ظهرها، فبدا الشبه العائلي واضحاً.

أعاد الكتاب إلى مكانه شاعراً براحة بال بالغة واستمّر ينظر حوله. وحدها نسخة من مجلة (المشاهير) تحمل صورته، بدت في غير موضعها.

أزعجه هذا. بدا محقاً في ارتيابه في أن ظهورها الليلة الماضية كان مجرد مصادفة. التقط المجلة ووضعها بجانب حقيبة كتفها التي تركتها على الطاولة حين استمعت إلى الرسالة الصوتية. كانت حقيبة قديمة أنهكها الاستعمال. لا شك أنها تفضلها وإلا لأهملتها منذ زمن طويل.

توقفت يده للحظة فوق الجلد، لكنه لم يستطع أن يحمل نفسه على أن يفتحها. وبدلاً من ذلك توجه إلى الهاتف المتصل بالمجيب الآلي. كان الجهاز مقفلاً. حسناً، هذا متوقع ما دامت في البيت.

حان الوقت إذن للتحقق، رفع سماعة الهاتف قبل أن يجد عذراً

يدفعه للتراجع.

رن الهاتف مرتين ثم سمع صوتاً واضحاً يقول: «جاي فارنديل».

أعاد السماعة إلى مكانها، وعاد إلى الحديقة حيث أخذ يتأمل تنفس لورا الهادىء المنتظم أثناء نومها.

تمنى من كل قلبه لو أنه لم يفعل ذلك، لكنه وضع ثقته في غريزته.

***

٧ ـ ماذا عن الغد؟

استيقظت لورا مجفلة. كانت الشمس قد غابت خلف المنازل تاركة حديقتها مليئة بالظلال. ارتجفت قليلاً وهي تستقيم في جلستها، ثم تمطّت وتثاءبت بقوة، وإذا بها ترى كساندر يتأملها: «آسفة جداً. منذ متى وأنا نائمة؟».

ثم تأوهت: «أرجوك. أخبرني أنني لم أشخُر».

فقال بابتسامة عريضة: «لم تشخري».

نسيت الشخير. أتراها تحدثت أثناء نومها؟ فهي تفعل حين تكون مضطربة، وكساندر أورزينو هو أكثر الرجال الذين عرفتهم إثارة للاضطراب.

ـ لا تعتذري، إذ لا بد أنك متعبة بعد أن سهرت الليلة الماضية وأنت تنتظرين، بكياسة بالغة، أخبار كاتي. ما كان لك أبداً أن تسهري قلقة عليها.

نعم، كان عليها أن تُنهي قصتها وتنام كأي صحافية عاقلة. لكن، وبحسب تريفور ماكارثي التعقل والصحافة كلمتان لا يمكنه أن يصفها بهما. أجابت: «لا. ما كان لي أن أفعل، إذ من الواضح أنها أكثر من قادرة على رعاية نفسها».

ـ لا، لا أظنها كذلك، لكن لديها مرافقة ترعاها.

ـ أعلم هذا لكنني شعرت بالمسؤولية لأنني تركتها تخدعني. أنا ساذجة حقاً.

ـ لا تكوني قاسية على نفسك.

ـ لكن هذا صحيح. كنت ذات مرة في احتفال عام عندما رجتني فتاة أن أحمل طفلها الرضيع ريثما تذهب إلى استراحة السيدات، فلم أرها إلا بعد يومين.

ـ لماذا لم تأخذي الطفل إلى مؤسسة «الخدمات العامة»؟

ـ لم أستطع! خفت أن يأخذوا الطفل إلى مؤسسة رعاية فيما الفتاة المسكينة لا تريد سوى فترة استراحة. لقد تركت حقيبتها مع حفاظات الطفل وحوائجه. لم أستطع طبعاً أن أرى الكثير من ذلك الاحتفال.

وهذا لم ينفعها لأنها أرسلت لكي تغطي أخبار الاحتفال.

قال وهو ينهض واقفاً: «لو أن أحداً غيرك أخبرني هذه القصة، لما صدّقتها».

ـ لكنك عرفت منذ البداية مدى سذاجتي.

ـ أنت حنونة يا لورا تراعي الآخرين، كما أنك خدومة. وأنا لا أشك في أنك لو تورّطت في وضع مماثل مرة أخرى لتصرفت بالطريقة نفسها بالضبط.

ـ لا أدري هل عليّ أن أشعر بالغرور أم بالإهانة؟

فقال وهو يساعدها على النهوض: «لا؟ أظن أنّ ما عنيته كان واضحاً».

ـ هل أنا حمقاء؟

أمسكت بيده، وعندما نهضت لم يتراجع فترنحت كيلا تصطدم به فوضع ذراعه حول خصرها يثبّتها، ثم أدناها منه: «حمقاء حنون».

أزاحت يده عن خصرها ثم توجّهت إلى المطبخ وهي لا تزال تمسك بده بيدها بحزم: «هيا بنا، يا صاحب السمّو. حان الوقت لأظهر لك أني لست عاجزة كلياً».

عضت لورا شفتها لتمنع نفسها من الضحك وهي تسأله: «هل تتمنى لو لم توافق قط على هذا؟».

ـ في الواقع، كلا.

تابع كساندر عمله في تقطيع البصل، متعهداً لنفسه بألا يعتبر تقطيع الخضار أمراً سهلاً مرة أخرى. رفع يده ليمسح دموعه لكنها أمسكت بها قبل أن يفعل. وللحظة، لم يشعر أي منهما برغبة في الضحك.

ثم تركت يده واستدارت مبتعدة بسرعة: «عندما يسيل البصل دموعك، لا بد أن تجد شيئاً تبكي عليه».

ثم فتحت حقيبة يدها التي وصلت بطريقة ما إلى المطبخ وأخرجت منديلاً نظيفاً منها ومالت عليه تمسح الدموع عن خديه بلمسات خفيفة.

أمسكها من خصرها ليسندها. وفي هذه اللحظة، شعر بأنه مستعد لأن يعطي أي شيء لكي يصبح رجلاً عادياً... ليس لأسبوع واحد فقط بل لبقية حياته... وبذلك يمكنه أن يدفن وجهه في شعرها الناعم المُعطر الذي أدفأته الشمس.

ـ من الأفضل أن تقطّع اللوبياء. دع الفلفل الأخضر لي قبل أن تسبب لنفسك مزيداً من الأذى.

خلّصت نفسها منه، فأنقذته من إغراء أصبح ملحاً للغاية، وتابعت من دون أن تنظر في عينيه: «خذ. هل هذا أفضل؟».

خطر له للحظة أن يقول لا، وأن يصّر على أن من الأفضل أن تعانقه. فتتكرر البهجة الخالصة التي شعر بها وهو يرى احمرار وجهها لجرأتها.

عندما لم يجب فوراً، رفعت أهدابها وقابلت نظراته فحصل على أكثر بكثير مما كان ينتظر. فقد أخذ قلبه يخفق وكذلك كل عرق في جسده.

وبما أنه ما زال يشعر بالذنب لتجسسه عليها، حاول جهده التحكم في نفسه، ثم قال وهو يلتقط السكين: «لا تدعي الدموع تخدعك، فيمكنني تقطيع بعض الفلفل. هل هذا صعب؟».

- إنه ليس صعباً، إنما حذار أن تمسح عينيك بأصابعك بعد ذلك، أو أن تضع يديك قرب فمك أو أي مكان آخر . . . حساس .

واحمر وجهها .

قال وهو يكاد يختنق: «حساس؟» .

- عليك أن تفكر في مستقبل أسرتك .

- آه .

ناولته اللوبياء ضاحكة، ثم أزاحت حقيبتها وأخذت تنزع بذور الفلفل الأخضر: «ألم يحن الوقت بعد لكي تبدأ في التفكير في ذلك؟» .

نظر إليها، لكنها كانت تركز اهتمامها على عملها: «التفكير في ماذا؟» .

- مستقبل أسرة أوزينو. أليس من واجبك أن تنجب وريثاً؟ ثمة شائعات انتشرت منذ حوالى ثماني سنوات عن فتاة عرفتها في الجامعة واسمها جولييت . . .

- لقد حفظت دروسك .

- لديّ آخر عدد من مجلة «المشاهير»، حيث وصفتها بأنها الفتاة التي حطمت قلبك .

- أحقاً؟

- قالوا إنك لم تنظر بعدها إلى امرأة أخرى .

شعرت بارتباك وكأنها سارت فوق أرض محرّمة . وبقيت مركزة على الفلفل: «آسفة لتطفلي هذا. أخبرتك أن لساني يوقعني دوماً في المشاكل» .

- أبداً. حياتي كتاب مفتوح، كما برهنت لتوّك . كل ما أفعله خبر صحفي. وكذلك كل امرأة أنظر إليها أكثر من مرة. أرجو أن تكوني مستعدة لذلك .

- أنا؟

واتسعت عيناها ذعراً وتركت ما تفعله .

- بعد «أسكوت» سيرتبط اسمك باسمي في كل مقالة، صحيفة أو مجلة مدى الدهر .

- آه، آه، فهمت .

ورفعت كتفيها مرتبكة: «وهل كانت تستاء لذلك؟» .

- كانت تسخر من الأمر حينذاك، لكنني أتصور أنه يغضب زوجها الآن بعد زواجها .

- لماذا؟ حتى وإن كانت حب حياتك، إلا أنها اختارته هو .

- هيه . . . لا تنسي أنني أنا الانسان الواقعي والمنطقي .

- لا بد أنّ الأمر معدٍ. أنا مستعدة لمواجهة الصحافة .

- ما كنت أشك بذلك حين ورّطتك معي. أتساءل إن كان عليّ أن أتصرّف على هذا النحو حتى من أجل كاتي، إذا كان لديك أيّ فكرة عن الضغط . . .

- هل هذا ما حدث مع جولييت؟

فقال: «جولييت كانت مجرد صديقة. أقمت مع أسرتها في «نورفولك» بعد موت جدتي حين كنت بحاجة إلى مكان هادىء لأفكر وأنفرد بنفسي، لكني لم أجد فرصة لذلك بعد أن اكتشفت الصحافة مكاني. صدقيني يا لورا، إذا أحببت امرأة إلى حد أن أطلب منها مشاركتي حياتي، فسيكون حبي لها كافياً لكي أتركها وأوفّر عليها تلك المعاناة. هل هذا جواب كاف عن وريث العرش؟» .

- أنا آسفة جداً يا كساندر .

لم تكن بحاجة لأن يفسّر لها ما يعنيه فبرفضه الزواج، ضحّى أيضاً بمتعة الأبوّة .

- لا تأسفي فالذنب ليس ذنبك .

لكن عينيها اغرورقتا بالدموع فأمسك بيدها لحظة. طرفت بعينيها: «الذنب ذنب هذا البصل الكريه» .

ومسحت دموعها بقفا يدها.

* * *

قالت وقد امتلأت معدتها ودار رأسها: «كنت محقاً بالنسبة إلى الفريز، إنه لذيذ جداً».

ـ ومعك حق بالنسبة إلى الآيس كريم. كما أن الكاري كان لذيذاً أيضاً.

نظر إلى كومة الأطباق الوسخة: «أظن أنّ هدف كل هذا أن تدربيني على فن «جليّ» الأطباق الراقي».

ـ نعم، هذه هي الخطة. لكنني قررت أن أتسامح معك وأستخدم غسالة الأطباق.

ـ لقد وجدتها صدفة حين كنت أبحث عن مقلاة. لكنني لم أشأ أن أفسد بهجتك.

ـ أحقاً؟ أنت متسامح جداً. إذا أصررت على تكديسها في الغسالة، فلن أمنعك طبعاً.

فقال عابثاً: «نعم، أصرّ على ذلك».

نظرت إليه وهو يفرك الأواني ويضعها في الغسالة وفكرت في أن ما يحصل أمر غير عادي. في الأمس، كان يبدو بعيداً كالنجم، وإذا بها اليوم تجلس معه، وتراه بعيداً عن شخصية ذلك الأمير المتغطرس الذي تظهره الصور. كان ذكياً مسلياً ومثيراً.

كانا يضحكان معاً، واكتشفا حبهما المشترك لفنون القرن العشرين، ولموسيقى «الجاز» العصرية، وللنزهات البحرية، كما كان الواحد منهما ينهي الجملة التي يبدأها الآخر.

قالت شاعرة بشيء من الدوار: «لا بأس بعملك معي هنا».

ـ بالنسبة إلى رجل؟

ـ بل بالنسبة إلى أمير. لا أعتقد أنك قمت بذلك من قبل.

ـ لا، لكنه مجرد منطق...

وفجأة، انفجرت ضاحكة، فقد أغلق الغسالة، ونظر إلى الأزرار

ثم اختار واحداً بدا له مناسباً فضغط عليه ما فتحها مجدداً. وزاد هذا في تسليتها.

فقال متفكهاً: «ما أغباني! هل أحضّر قهوة؟».

وأمسك بإبريق القهوة، لكنها نهضت وأخذته منه: «إنه دوري الآن. اذهب أنت إلى غرفة الجلوس وارفع قدميك لترتاح».

لكنه بقي مستنداً إلى المائدة يتفرّج عليها: «شكراً على هذا اليوم الجميل يا لورا. إذا كانت هذه هي الحياة العادية، فيمكنني التعوّد عليها».

ـ لا تستعجل الأمور. أنا واثقة من أن الجديد سيصبح قديماً بسرعة.

ـ في أيّ ساعة أمر لآخذك في الصباح؟ العاشرة؟

وتوقفت عن الضحك. لم تكن تريده أن يأتي في الصباح. أرادته أن يبقى...

ردت من دون حماس: «العاشرة؟ لا، نعم، عظيم».

ـ إذا كان هذا لا يرضيك، فأرجوك أن تقولي. لا أريد أن أتطفل عليك.

ـ طبعاً يرضيني. هل لك أن تتوقف عن هذه المراعاة اللعينة لإحساسي، ولو لدقيقة لكي أفكر..

ورفعت يدها إلى فمها بذعر: «آسفة».

أمسك بمعصمها يبعد يدها عن فمها ويبقيها في يده من دون تمهيد ولا تشابك نظرات ولا تساؤلات. لكنه ما لبث أن تركها بسرعة بعد أن لاحظ صدمتها.

ـ لا تكرري تلك الكلمة التعيسة. أمنعك من الاعتذار كلما قلت أول ما يخطر في بالك. هل لديك اعتراض؟

قال هذا بغضب مفاجىء منها، ومن نفسه.

ـ لا.

لم تستطع أن تفكر في الاعتراض. ولانت ملامحه: «إذا شئت الحقيقة، فأحب كثيراً أن أعانقك وألمسك».

تصريحه هذا جعلها عاجزة عن الكلام أو حتى عن التفكير. فاكتفت في التحديق إليه فاغرة فمها، فيما تابع هو يقول:

ـ أخبريني ما الذي يزعجك بالنسبة للغد يا لورا.

حسناً، عليها أن لا يصيبها الطمع. وعادت بذهنها إلى العمل فابتعدت عنه لتملأ إبريق القهوة بالماء: «في الواقع، لا أظن أنّ قدومك إلى هنا فكرة جيدة. ربما عاد ذلك المصوّر».

خاصة إذا كان تريفور يجول في الأنحاء خلسة.

ـ ولماذا سيعود المصوّر؟

ـ لقد رأوا كاتي تزورني. وهم لا يتوقفون، كما سبق وقلت بنفسك.

من حسن حظها أن الإبريق اختار هذه اللحظة لكي يفيض، فقفزت إلى الخلف عندما وصلت المياه الباردة إلى وجهها وصدرها مباشرة، بعد أن أسقطت الإبريق في الحوض. واستمرت المياه ترتفع وترشها وتغرق المطبخ إلى أن تقدم كساندر وأقفل الصنبور.

ـ منذ أشهر وأنا أشكو من ضغط المياه.

كانت تشهق محاولة أن تستعيد أنفاسها، فيما حاولت أن تبعد قميصها المبلل بالماء البارد عن جلدها: «يبدو أنهم أصلحوا الأنابيب أخيراً».

وعندئذ، فقط التفتت لتقدير الضرر.

لم يكن الوضع في المطبخ بالسوء الذي توقعته. فمعظم الماء بللها هي. أما الباقي، فبدا أنه يقطر من كساندر.

وكان هو قد شرع يفك أزرار قميصه ثم خلعه فنسيت بللها، وملابسها الملتصقة بجسدها وشعرها الذي يقطر ماء.

سألها بعد لحظة: «هل لديك منشفة؟».

لم تستطع أن تسلخ نظرها عن كتفيه السمراوين، وصدره الذي. . . لو جمحت مخيّلتها، لما تصوّرت أجمل منه.

طرفت بعينيها ذاهلة وهي تطرد أفكارها هذه: «ماذا؟ منشفة؟ رباه، بماذا كنت أفكر؟».

ركضت إلى الحمام لتحضر المناشف، لكنها عادت ورمتها عند الباب ثم سارت تحضر مناشف جديدة تدخرها للمناسبات.

وأي مناسبة أحسن من هذه؟ والتفتت فرأته خلفها.

ـ آسفة لتأخري.

تناول منشفة من يدها ولفّها على رأسها كعمامة. فقالت: «هذه لك».

ـ أنا بخير، علقت قميصي في الخارج وسيجف في دقائق. أنت مبللة للغاية.

سألته بغباء: «أنا؟ أحقاً؟».

نعم، كانت كذلك. وقالت: «حسناً، هذا لا يهم. نحن في انكلترا وقد تعودنا على البلل. بينما أنت معتاد . . . ماذا تفعل؟».

وكان سؤالاً آخر غبياً، فما يفعله واضح حتى لها. كان قد قرّبها منه. . . رباه، ليت المسافة بينهما أطول لتكسب بعض الوقت وتستعيد قدرتها على التفكير. . . والنطق.

ـ كساندر. . .

ليتها لم تكمل، فقد تجاهل تحذيرها بغطرسة الأمراء واقشعر جلدها برداً وهو يدنيها منه أكثر، ليضمها بين ذراعيه الدافئتين.

رفع العمامة عن رأسها وأخذ ينشف أطراف شعرها ولم تستطع أن تنطق وتقول له أن لا حاجة به لهذا وأن بإمكانها تجفيف شعرها بنفسها.

ما يفعله جيد.

لكن ذراعيه الدافئتين تحولتا إلى تدفئة مركزية بالنسبة إليها.

وعندما عانقها بشغف، راح المرجل داخلها يغلي بكامل طاقته.

ولم تشأ أن تقول أو تفعل شيئاً يطفئه.

كان جسده صلباً بعكس أطرافها الواهنة اللينة وشعرت بتموجات عضلاته وهو يحضنها كما سمعت دقات قلبه القوية البطيئة.

دقات قلبها لم تكن بطيئة بل حطمت الرقم القياسي بالسرعة منذرة بالمشاكل.

ارتجفت وهي تفكر بما قد يجمعهما معاً. يا له من رجل مميز! لكنه أمير وليس رجلاً عادياً وثمة فرق كبير بين حياتها وحياته.

فكّرت في أن عليها أن تبتعد، لكن أطرافها لم تطعها. وإذا به يضع يده القوية على ظهرها يثبّتها مكانها، فرأت أن الابتعاد عنه الآن ما هو إلا عدم لباقة منها، لذا كفّت عن الاهتمام بذلك.

بيده الأخرى أخذ يلامس شعرها.

كان واضحاً أنه جاف. قال وهو يتخلله بأصابعه: «شعرك رائع الجمال. رائحته أشبه . . . بالهواء النقي».

بعدئذ، أمال رأسها إلى الخلف ليجعلها تنظر إليه وتواجه مشاعره الواضحة. أوان ابتعادها فات حتى لو شاءت ذلك، لكنها كانت تجد من الصعب عليها حتى أن تتنفس.

ـ بذلت جهدي لكي أتجنب الإغراء، يا لورا.

فهمسَت بنعومة فائقة: «أحقاً؟».

وسألته بخبث رائع: «لماذا؟».

لماذا كانت تجد عينيه باردتين. كانتا سوداوين كالليل، لا سيّما الآن . . . فيهما كل الصفات ما عدا البرودة. إنهما تنفثان ناراً تكاد تحرق جلدها.

وأجاب بصوت متسلّط: «ثمة سبب جيد جداً لهذا، لكنني لا أستطيع أن أتذكره حالياً».

كانت بشرتها الناصعة تلمع في عتمة الغروب الخفيفة. ثمة

لحظات تُحفر في القلب إلى الأبد، وعندما رفعت ذراعيها تطوّق بهما عنقه، علم كساندر أن هذه هي إحدى تلك اللحظات.

ـ لورا؟

وبعد أن قام بمحاولة أخيرة يائسة للابتعاد عنها قبل أن يقدم على عمل يسبب لهما الألم معاً، التصقت به وعانقته وهي تتأوه بنعومة، فأسكتته عن الكلام وأخمدت ضميره، ومحت كل شيء ما عدا هذه اللحظة الثمينة.

تمتمت وهي تميل إلى الخلف لتنظر في عينيه: «أمنحك أسبوعاً يا كساندر لتكون رجلاً عادياً ولفترة قصيرة فقط، فاغتنم هذه الفرصة وحطم القيود».

رجل من حجر يمكنه أن يقاومها، وحده قلب من ثلج لا يذوب أمام هذا الإغراء العذب. لقد حاول، والله يعلم ذلك، أن يكون الاثنين معاً، ثلجاً وحجراً. لكنه كان من لحم ودم . . . رجلاً عادياً لا قدرة له على مقاومة مثل هذا القلب الحنون المحب.

قال لها بعنف: «رغبت فيكِ منذ اللحظة التي وقع فيها نظري عليك يا لورا».

أرادها أن تتذكر ذلك دوماً، أن تعلم أنه لم يستغلها.

إن مباهاته بتحكّمه في نفسه، ليست سوى إحساس بالواجب وخوف من أن ينتهي إلى مصير والديه الذي جعله يقسم على ألا يصيب أياً من أولاده.

في السنوات التي تلت قراره بألا يتزوج، عرف نساء أرستقراطيات مناسبات، رائعات الجمال، رحن يلاحقنه بتشجيع من جده لإقناعه بتغيير رأيه. كن نساء رائعات أعينهن على لقبه، وجعلن همُّهن جره إلى الكنيسة للزواج.

لم يكن يقاوم الإغراء دوماً. ولم تستطع أيّ منهنّ أن تزعزع قناعته بأنه اتخذ القرار الصائب حين قرر عدم الزواج.

كان يعتقد أن قراره لم يتزعزع لأنه قوي ويسيطر على هذه الناحية من حياته. لكنه الآن يواجه الحقيقة، وهي أنه لم يعرف قط من قبل امرأة تجعل لتضحيته معنى. إلى أن اعترضت لورا فارنديل طريق حياته منذ أربع وعشرين ساعة. وأخيراً، حين رأى الحياة تمتد أمامه لأربعين أو خمسين عاماً، أدرك هول قراره هذا.

انفرجت شفتاها عن شبه ابتسامة، وهي تستكين وادعة بين ذراعيه. عليه أن يودّعها وأن يخبرها إحساسه عن معنى أن يكون رجلاً عادياً.

لكنه لم يكن رجلاً عادياً. وسيضطر لأن يرى ابتسامتها تذوي عندما تعود الحقيقة إلى حياتهما مع طلوع النهار.

قالت إنها ستمنحه أسبوعاً.

لكنه لا يستطيع المجازفة بأسبوع.

لقد أذابت الثلج حول قلبه بحرارة حبها. وهدمت الجدار العازل الذي كان يحميه من التورط العاطفي.

والآن، بعد أن أصبح ذلك مؤلماً، ومؤلماً جداً، عليه أن يرحل. فيبرهن لنفسه أن بإمكانه أن يفي بعهده بألا يغامر بحياة المرأة التي يحب.

وكأن الألم الذي شعر به انتقل إلى لورا، فقطبت جبينها ثم مدّت يدها من دون تردد تلمس وجهه.

تمتمت: «شكراً».

ـ علام الشكر؟

ـ لأنك كنت أميراً عادياً بقدر ما أنت شخص فوق العادة.

جاء دوره ليمنعها من الكلام وليحتضنها لآخر مرة، علّها تدرك كل ما لا يستطيع أن يقوله بالكلمات.

* * *

٨ ـ الجرح المهلك

ـ عليّ أن أذهب يا لورا.

ـ طبعاً عليك ذلك.

قالت هذا وهي لا تنوي أن تدعه يغادر في المستقبل القريب. ثم أردفت: «إذا اكتشفت الخادمات أنك لست في فراشك فستثير فضيحة هائلة».

ـ بلهاء.

ورغم أنّ كلمته ليست مديحاً إلا أنها سرّتها إذ صحبها عناق.

ما كان ليقول هذا منذ يومين.

ـ أتعني أن غيابك حدث عادي بحيث لا يثير الأقاويل؟

ـ لقد أذعنت، فهذه لعبة لا أنجح فيها.

ـ حسناً، يبدو أنني أتقدم عليك هنا.

ولكن ليس بقدر ما تحب ما دام قرر أن يرحل.

وأخذت تتأمله للحظة، ثم قالت: «حسناً، أمنحك ساعة لتذهب وتثبت لرجال أمنك أنك لم تُسجن في قبو سجن «نوتينهيل». بعدئذ، سأذهب وأحضرك. ما زال عليك أن تعمل في قسم الأمور العادية».

وضحكت لكنه لم يضحك: «لورا، عليّ أن أخبرك شيئاً».

لم تعجبها لهجته الجادة، وتوتر فكه فقالت: «أنا أستمع إليك».

وأنذرها هاجس بأن ما ستسمعه لن يعجبها.

نظرت إليه فوجدته يبحث في جيب القميص ثم قطّب جبينه وهو

ينظر إلى هاتفه الخلوي وما هو عليه من رسائل.

ـ كساندر؟

نظر إليها وهز رأسه: «ليس الآن. في ما بعد».

قالت، كارهة ابتعاده عنها ليس جسدياً بل ذهنياً وهو الأهم: «عندما تخرج انتبه من المصوّرين».

فردّ بجفاء: «المفروض أنني أصبحت معتاداً عليهم».

وتملكها الإغراء لسماع ما كان سيقوله، إلا أنها رأت أنّ التعقل في هذه الحالة أفضل ما دام تحذيرها لم يهمه أو لعل الرسالة على الهاتف أعادته إلى واقعه.

ـ هل من خطب ما؟

ـ حاول كارل الاتصال بي.

ـ اتصل به. بإمكانه أن يغطي مسألة غيابك.

ابتسم أخيراً ومال عليها يضمها لحظة: «عليّ أن أذهب».

طبعاً، فشؤون دولته تناديه. وضمّت وجهه بين كفّيها: «لا بأس يا كساندر. اذهب لحلّ أي أزمة تتطلب اهتمامك الشخصي. ولكن لا تنسى أنني أطالبك بأن أكون على رأس قائمة أولوياتك للأسبوع القادم إلا إذا ذهبت إلى الحرب أثناء الليل. سأقابلك في قسم تجهيزات المطابخ في محلات «كليبورن وفاراداي» في الساعة الثانية عشرة...».

ـ كليبورن «وفاراداي»؟ ماذا حدث (للعادي)؟

هزّت كتفيها، لم تكن كاتي الوحيدة القادرة على التمثيل لسبب وجيه.

اعتمدت في خيارها على أنه سيطلب منها أن تأخذه إلى هناك. كانت تعلم أنه تجاوز الخط الذي رسمه لنفسه، لكنها لن تدعه يتراجع من دون قتال: «أحتاج لشراء خلاط. لا تتحدث إليّ، بل اتبعني فقط حين أترك البيت».

ـ يا لك من متآمرة.

ـ بالطريقة العادية فقط. لا تتأخر.

لم يقل شيئاً بل مدّ يده يلامس خدها ثم خرج بسرعة. أجفلت حين سمعت الباب يصفق خلفه.

عادي؟ كيف يمكن ليوم تمضيه مع ألكسندر أورزينو أن يكون عادياً فما زال قلبهايخفق لذكرى عناقه.

وكيف يمكن لليوم الذي لا تمضيه معه أن يكون غير عادي؟

توجّهت لورا إلى السرير وتكوّرت فيه وهي تستعيد ذكرى اليوم الذي أمضياه معاً.

كل نظرة، كل لمسة، كل ضحكة تبادلاها.

كان صريحاً معها، أخبرها بأشياء لم تحلم قط بسماعها من بين شفتيه، كقراره بعدم الزواج.

أحسّت أن هذه ليست القصة كلها، ولكن حتى هي، وهي أكثر الصحافيين فشلاً، تعلم قيمة تلك المعلومات التي بمكنها أن تتصدر العناوين في المجلة. وأغمضت عينيها لتتخيّل العناوين الكبيرة واسمها تحتها.

إنها ليست عديمة النفع تماماً.

فلديها قصتها... والصور التي ستكسبها ثروة من مجلة «المشاهير» والصحافة الأوروبية. إنها الآن في الوقت والمكان المناسبين، ومهنتها على وشك أن ترتفع بها إلى السماء السابعة.

لكن... ما قيمة كل هذا بعد أن وثق بها كساندر؟ لقد أزال الحواجز كلها التي أحاط بها نفسه وسلّم نفسه لها بكل ثقة؟

عندئذ، أدركت الحقيقة. كان تريفور على صواب، فهي لن تصبح صحافية أبداً... ولا بعد مليون عام.

فما من صحافي يفكر مرتين قبل استغلال ما عرفته، لكن ما من شيء في العالم يجعلها تسلّم الفيلم الذي في كاميرتها إلى تريفور

ماكارتي.

قد تكون حمقاء، لكنها تعرف معنى الكرامة والحق والنزاهة. كما أنها ليست من النوع الذي يخدع نفسه بأوهام نهايات الحكايات السعيدة.

إنها تعرف ما سيقوله لها.

هذه ليست حياته الحقيقية، ولا يمكن أن تدوم.

وكأنها لم تكن تعلم ذلك حين عانقته.

لكنها ستبكي في ما بعد... عندما لا يكون قريباً فيراها. وفي الوقت نفسه، ستمنحه أسبوعاً من حياتها، وتقدّم لحظة قصيرة من السعادة. ويكفيها أن تعلم أنها ستعيش في قلبه كصديقة مخلصة.

* * *

- مرحباً جاي. توقيتك عظيم. يمكنك أن تساعديني في اختيار ما عليّ أن ألبسه.

تبعت جاي لورا إلى غرفة نومها وأخذت تتفحص الملابس المكوّمة على السرير: «إلى أين أنت ذاهبة؟».

- سأخرج.

- أظنني بحاجة إلى بعض التفاصيل.

- سأخرج وحسب. فأنا لم أقرر بعد. قد أجول على بعض معارض الفنون، أو قد نذهب في رحلة بالسيارة إلى الريف.

- هذه أنيقة.

واختارت لها بنطلوناً رصاصي اللون وبلوزة حريرية بلون القشدة وسترة من الكتّان: «ومع من؟».

- شخص لا تعرفينه. هل جئت إلى هنا لغرض خاص؟

- فقط لأسألك لما اتصلت بي أمس. أجبت على الاتصال فلم أسمع رداً. لكني أعلم أنه لو كان الأمر هاماً لجئت إليّ بنفسك.

وهزت كتفيها. فقالت لورا: «أنت تعلمين لماذا اتصلت بك يا

جاي. لقد تحدثنا عن تريفور ماكارثي».

- بل اتصالك الثاني. بعد الأول بحوالي نصف ساعة.

هزّت لورا رأسها: «لم أكن أنا، فقد نزعت الشريط من الحائط حالما أنهيت حديثي معك. لم أشأ أن يتصل بي تريفور أثناء وجود كساندر هنا».

لقد زلّ لسانها بالإسم.

- كساندر؟ أهذا اختصار لأسم ألكسندر؟ كنت سأسألك إلى أين وصلتِ بقصتك.

غضبت لنظرة الشك في عينيّ جاي وقالت: «بقي صاحب السمّو للعشاء».

فقالت جاي من دون دهشة ولا حماسة: «آه... آه. هذا يعني شيئاً واحداً... المتاعب».

- (آه؟) أهذا كل ما لديك لتقوليه؟

- ربما هذا كل ما ينبغي أن أقوله.

- وماذا يعني هذا؟ هيا، أخبريني.

- كل ما في الأمر هو أن هاتفي رنّ بعد حديثنا بنصف ساعة. لم أكن أضع نظاراتي ولهذا لم أستطع قراءة الرقم الطالب، فذكرت اسمي كالعادة. لكن الطالب وضع السماعة من دون كلام وتعرفين كم يضايقني هذا، لهذا أحضرت نظاراتي لأرى الرقم. وكان رقمك يا لورا.

آه، غريب!

وفجأة، تبدد مزاجها المرح وهي تُدرك أن كساندر تجسس عليها.

نامت في الشمس فلم يضيّع ثانية، وسعى لأن يعرف مع من كانت تتحدث ليكشف ما إذا كانت تكذب عليه.

لم يكن غيوراً بل مشككاً. وما إن أغمضت عينيها حتى أخذ يبحث، وأول ما يُفترض أن يكون قد بحث فيه هو حقيبة يدها.

كانت الكاميرا مخبأة جيداً بين الجلد والبطانة حيث يمكنها أن تفتحها من دون أن ينتبه إليها أحد أو يشكّ في وجودها، لكنها لن تخدع من يضع يده في الحقيبة.

ماذا وضعت في الحقيبة أيضاً؟ كانت من التعقل بحيث لم تضع بطاقتها الصحفية، أما الباقي فغير مهم. الكاميرا المخبأة هي البرهان الذي يحتاجه ليعلم أن نيتها ليست حسنة.

عندئذ، أعاد وصل قابس الهاتف، ثم ضغط زر إعادة آخر مخابرة ليعرف مع من كانت تتكلم.

لقد تصرّف وكأن أمرها لم ينكشف. لا عجب في أنه كان في مزاج حسن. لا بد أنه فتح الكاميرا ثم عرّض الفيلم للضوء فأتلفه.

لن تحصل على شيء. على عكس صاحب السمّو الأمير ألكسندر ميشيل جورج أورزينو الذي حصل على كل شيء.

إنها ساذجة. لقد أوشكت أن تتخلص من قصة العمر.

كلمة ساذجة لا تكفي.

متى ستتعلم؟

كان اتصالها بتريفور ماكارثي قصيراً ومباشراً. أراد أن يعلم متى يحصل على القصة، والصور.

ـ دعاني صاحب السمّو لأنضم إليه كضيفة في «أسكوت».

وصلت الدعوة الرسمية في البريد هذا الصباح، ويبدو أن موظفيه الأكفاء أرسلوها قبل أن يكتشف حقيقتها. (صاحب السمّو الأمير ألكسندر يلتمس بسرور حضور الآنسة لورا فارنديل). لقد سبق وحصل على السرور، وعليه أن يدفع الثمن.

ـ سأسلم القصة في الليلة نفسها.

مع صور هدية من جاي.

ـ في الوقت المناسب، للنشر.

ـ أضمن لك ذلك. أظنك سترغب في أن تخصص مساحة تحت

البيانات الإدارية على الصفحة الأولى للصورة والصفحة الثالثة كلها.

ـ هل هذا صحيح؟ ومن جعلك محررة من دون علمي؟

وعندما لم تجب عاد يسألها: «ماذا لديك بالضبط يا لورا؟».

ـ قصة غير عادية تجعل منافسوك يموتون حسداً.

ساد صمت طويل قبل أن يقول: «لا بد أنني مجنون حتى أصغي إليك».

ـ لا يا تريفور. أنت بخير.

إنها هي المجنونة. وقد حصلت على السبق الصحفي. ستثبت هذه المرة لكل شخص أنها لم تكن حمقاء كلياً.

وعندما ستفعل، ستبحث عن عمل يُمكنها أن تعيش منه.

اشترت قطعة الغيار للخلاط، ثم أخذت تجول في أنحاء قسم أجهزة المطبخ في متجر «كليبورن» وذهنها مشغول بكل شيء ما عدا أجهزة الطبخ الرائعة. راحت تنظر في ساعتها. لقد تأخر.

من الغريب أنها لم تشكّ أبداً بقدومه. ربما كانت مجنونة، لكنه لم يتصرف الليلة الماضية كرجل ملّ من صحبتها.

أمسكت بمقلاة كبيرة... أي شيء يلهيها عن التفكير في الليلة الماضية. ثمة شيء يقلقها ولا يقتصر على تأخره.

ورفعت بصرها، فمحا ما رأته كل شيء آخر من ذهنها. كان كساندر واقفاً في الناحية الأخرى من صالة العرض. كم من الوقت وقف هناك ينظر إليها؟ وماذا رأى؟

كانت تعلم أن وجهها يكشف مشاعرها كلوحة إعلانات.

تقدّمته بسرعة إلى باب الخروج. ووضعت على عينيها نظارات داكنة حين أصبحت في الشارع، شاكرة الشمس التي منحتها عذراً لإخفاء عينيها.

سألها وقد أصبح بجانبها وأمسك بيدها: «إلى أين سنذهب؟».

قفزت مجفلة ونظرت إليه فابتسم: «لا تخافي. لم يتبعني أحد».

- ماذا؟

سألته شاعرة بالذنب، ثم أدركت أنه يعني المصورين فقالت: «آه، لا. طبعاً لا».

- إذن؟

- حسناً. سنتفرج اليوم على معالم المدينة وأول محطة لنا هي قطار الأنفاق.

- ماذ حدث لتجوالنا بالباص في الريف؟ لقد تمنيت غداءً هادئاً في نزل على ضفاف نهر.

أحقاً تمنى هذا؟ وساورها الإغراء لحظة في أن تستسلم. لكنها ما لبثت أن ذكّرت نفسها بما فعل، فقالت: «هذا الأمر يفوق العادي. أولاً، عليك أن تتعلم الأمور الأساسية».

ووقفت عند مدخل محطة المترو تدعوه لمرافقتها. وعندما قرأ أسماء المحطات التي يقف عندها القطار، قال: «لا بأس. هل ثمة أهمية للمكان الذي نقصده؟».

- من الأفضل أن تفكر في جهة معينة. وبذلك يمكننا استعمال خريطة. ماذا عن حديقة «ريجنت بارك؟» أظنك ستشعر وكأنك في وطنك.

نظر إليها مفكراً قبل أن يخرج ما يكفي من قطع النقد ويشتري تذكرتين.

- لو اشتريت تذكرة واحدة للنهار كله لوفرت نقودك.

اقترحت عليه ذلك بعد انتهائه ولكن من دون حماسة حقيقية. لقد انسل تحت حواجزها العاطفية ووجدت من الصعب طرده.

- الكلفة أرخص ولن تعود بحاجة إلى تلك الشكليات مرة أخرى.

- شكراً لأنك أخبرتني.

- التعليمات كلها مكتوبة هناك، كان عليك أن تنظر فقط لتراها.

- ربما سأكون أفضل وحدي، فأنت تلهينني.

أشارت إلى الحاجز بصمت ثم أخذت التذكرة منه وعلمته كيف تعمل: «لست هنا لأمسك بيدك يا كساندر بل لأريك الطريقة».

أخذ يدها بيده بحزم من دون أن يتركها حتى عندما وصلا إلى المصعد.

قالت: «من المؤسف أن ساعة الزحمة فاتتنا. فالأمر مضحك أكثر عندما ترى آلاف الناس يحاولون الدخول الوقت نفسه».

أن يمسك أحدهم بيد الآخر في مثل ذلك الزحام أمر مستحيل تماماً.

- أنا مسرور لتجاوزي تلك المتعة. والآن أخبريني ماذا هناك في حديقة «ريجنت بارك» يستحق المشاهدة؟

المشاهدة؟ لم تفكر في ذلك بل أرادت فقط أن تغيظه قليلاً، فإذا غضب منها سيخفّ شعورها بالذنب لما تقوم به...

قالت وهي تتوجه إلى أقرب رصيف: «عشب».

فكّرت في أن تقول له إنهما يسلكان الطريق الخطأ، لكنها عادت وقررت أن تترك الأمر له حتى يكتشفه بنفسه، كما يفعل أيّ شخص آخر.

سألها مبتسماً: «عشب عادي؟».

- طبعاً عشب عادي. وحرية السير يومياً وبكل بساطة في الحديقة العامة.

اتسعت ابتسامته: «ليس هناك ما هو بسيط أو عادي بالنسبة إليّ...».

بدا أنه قال أكثر مما يجب فقطع كلامه. قالت تنصحه: «أخرج من النفق يا كساندر. تنازل عن العرش. أعلن الجمهورية».

- أنت هدّامة يا حبيبتي. ثائرة خطيرة.

- طبعاً، كانت أمي...

فقاطعها ضاحكاً: «أعرف. لكنني نشأت لكي أخدم. وإذا تخلّيت

عن مسؤوليتي وشعبي، فماذا سأفعل ببقية حياتي؟».

كانت على وشك أن تقول له إنه ليس عليه أن يقوم بأي عمل لعين، لكنها عادت فغيّرت رأيها. فقد تربّى على خدمة شعب مونتوربنو، وسيقوم بهذا العمل حتى يموت سواء بلقب أو من دون لقب. فقالت: «إنها غلطتي وأعتذر عنها».

منعه من الجواب عصف ريح أنبأ بقدوم القطار. بدا وكأنه كان ينوي أن يقول أو يفعل الكثير، لكنه، وبدلاً من ذلك، أمسك بذراعها وصعدا إلى القطار معاً. تجاهلا المقاعد الخالية، واختارا أن يقفا بجانب الباب لكي يبقيا متقاربين.

مدّت يدها لتمسك بيده لكنه سبقها وطوّقها بذراعه. ضمّها إلى صدره كيلا تفقد توازنها حين يتحرك القطار، ثم أبقاها ملتصقة به.

شعرت بصلابة جسده، وبالأمان.

أمان بالغ للغاية.

وعندما وقف القطار في المحطة التالية قالت: «فلنذهب».

ـ هل علينا أن نبدّل القطار؟

ـ لا. لقد جرّبت قطار الأنفاق، فلنجرب بعده الباص.

ـ وإلى أين سنذهب؟

ـ ما من مكان محدد.

ورأت باصاً مكشوفاً فقالت: «فلنستقل هذا ونتصرف وكأننا سائحان، يمكنهما الذهاب إلى أي مكان. يمكننا أن نأخذ زورقاً في «سربنتين»، ونتفرج على حرس قصر الملكة في بكنغهام قبل أن نطعم البط في «سانت جايمس»».

سيُسهّل ذلك لحاق جاي بهما. ومن سيلاحظ سائحة أخرى تلتقط صوراً؟

ـ ربما ننهي النهار برحلة إلى «لندن آي» فننظر إلى المدينة من علوّ أربعمئة وخمسين قدماً. ما رأيك؟

ـ هذا طموح من فتاة تخاف العلو.

فقالت وقد أجفلت عندما فاتهما الباص: «نسيت وهذا غريب جداً. فقد جرفتني المشاعر».

ـ أنا أعرف شعورك بالضبط يا لورا.

ـ أحقاً؟

ـ حصل لي الشيء نفسه بالأمس. هيا بنا نسير.

* * *

ـ حسناً، كان ذلك مختلفاً.

قال كساندر ذلك وهما يصلان إلى زاوية شارعها وقد ارتسمت في عينيه ابتسامة دافئة: «لكنه كان ممتعاً».

ـ أحقاً؟ حتى قطار الأنفاق؟

ـ حتى ذاك، رغم أن عليّ أن أعترف بأن الفضل في ذلك يعود للصحبة أكثر منه للمشاهد.

ـ آسفة، بالنسبة للندن آي، ظننت أن بإمكاني أن أقوم بذلك.

ـ أنا متفهم لذلك، صدقيني.

ـ حتى بعد وقوفنا في الصف كل هذا الوقت؟

تملكها شعور فظيع. كيف لم يلاحظ ذلك؟ كانت تمثل دورها بقلب ممتلىء كآبة وألم. خصصت النهار لتدريبه على الحياة العادية، وبقيت تمثل حتى تلك اللحظة في «لندن آي» حين اقترفت غلطة مهلكة ورفعت بصرها إلى آخر ذلك المبنى الذي يرتفع أربعمئة وخمسين قدماً، فإذا بها تستحيل إلى حطام يهذي.

بعدئذ، كل ما حدث كان حقيقياً تماماً. مجرد التفكير في ذلك الشعور كان كافياً ليجعلها تعيشه مجدداً. شحب وجهها ووهنت ساقاها وهي تحاول التمسك بالحاجز المعدني... تصاعدت خلفهما غمغمة نفاذ صبر بعد أن أعاقت نزول الركاب. فصرخت بصوت معذب: «كساندر».

حتى وهي تنحدر إلى ظلمة الذعر، شعرت به بجانبها فيما التفّ ذراعه حول خصرها ليبقيها واقفة. وقف بينها وبين العجلة الضخمة فوقهما، يحميها منها وقال: «أنا هنا يا حبيبتي. أنت آمنة».

ـ لا تتركني. لا تتركني أبداً...

ـ أبداً... أبداً.

وخف ذعرها لحظة فقال: «لكننا نسدّ الطريق أمام الركاب. هيا لنبتعد من هنا».

ـ لا... لا أست... طيع.

راح فمها يتحرك لكن الكلمات بقيت ملتصقة في حلقها. لم تستطع أن تتكلم... أو أن تتحرك... لقد جمدت حتى لم تعد تستطيع التقدم أو التراجع.

بعدئذ، أخذت ترتجف وانهارت، فانحنى وحملها وسار بها بعيداً عن الزحام.

التصقت به تستمد الصلابة والراحة من صدره وأغمضت عينيها بشدة ولم تفتحهما إلا بعد أن مدّدها برفق على مقعد خشبي في زاوية هادئة من مقهى قريب. لكنه لم يتركها بل أبقى ذراعه حولها يشدّها إليه فيما طلب من النادل فنجاناً من الشاي.

أدنى الفنجان من شفتيها. لم تكن بحاجة إلى ما يقوّيها، فهي تستمد قوّتها من كساندر. لكنها أطاعته ورشفت الشراب.

عندا أخذ ذعرها يخفّ قالت شاعرة بحماقة تفوق الوصف: «أخذ هذا يصبح عادة».

أتراها توسلت إليه حقاً ألا يتركها؟

وهل قال هو (أبداً) حقاً؟

سألها: «أخبرني عن سبب خوفك من المرتفعات».

ـ ما من سبب في الواقع.

جاهدت لكي تتمالك نفسها وتنتصب جالسة وتتصرف باتزان: «لا

أستطيع أن أفكر في ما أصابني...».

لكن الأوان فات لتبتعد عنه لأنه لم يسمح لها بذلك. وفجأة، شعرت بحاجة إلى شراب ساخن فأخذت جرعة بينما كان يقول: «أخبريني يا لورا. كان أبوك متسلق جبال. هل وقع ومات؟ هل هذا هو الأمر؟».

هزّت رأسها. كان الأمر أسوأ، أسوأ بكثير: «لم يكن يتسلّق. لكان الأمر محتملاً بشكل ما، لو كانت الغلطة غلطته...».

وغصت بريقها وغالبت دموعها. مضى وقت طويل منذ بكت: «لو كان يفعل ما يحبه أكثر من أي شيء آخر...»

انتظر كساندر.

ـ أنا لا أخاف الجبال بل المباني العالية. والأشياء العالية...

وارتجفت مرة أخرى.

ـ أنا مسرور لهذا، فلو أنك تخافين الجبال لكانت زيارتك إلى «مونتورينو» مؤلمة للغاية. أرجو أن تزورينا هناك.

نجح لحظة في إلهائها تماماً، وعندما بقيت صامتة دهشة وليس خوفاً، قال: «أخبريني يا لورا. الأفضل أن نكشف عن كل شيء. الخوف ينمو في الظلام».

وأمسك بيدها: «ثقي بي يا لورا».

طعنها الشعور بالذنب في الصميم. لن تستطيع أن تذهب أبداً إلى مونتورينو. ليس بعد اليوم. ولكن بإمكانها أن تخبره الحقيقة عن نفسها، أن تشركه بشيء لطالما أخفته في أعماقها: «كان والداي يستقلان مركبة «تلفريك» معلقة بسلك غليظ فوق الوادي. لم يكن يتسلق الجبال ولم تكن هي تكتب عن الرحلات. كانا يتصرفان كسائحين ويستمتعان بوقتهما هذه المرة، فاشتبك السلك بطائرة هيلوكوبتر».

ـ رباه...

واحتضنها متمتماً بكلمات المواساة وشفتاه على شعرها: «آسف للغاية».

ثم أخذ يمسح دموعها عن خديها بأصابعه: «لو كنت أعلم. . . »

ـ ذلك ليس ذنبك يا كساندر بل ذنبي. لا أدري كيف فكرت في أن بإمكاني أن أفعل ذلك.

لكن، ولسبب ما، كل شيء يبدو ممكناً حين تكون مع كساندر: «كنت بحالة حسنة حتى رفعت بصري وإذا بكل شيء يموج فجأة تحتي وشعرت وكأنني أسقط. كان الأمر أشبه بالكابوس. . . ».

ـ هل ما زلت ترين كوابيس؟

فارتجفت: «ليس كثيراً».

ـ هل يمكنني أن أساعدك؟

نظرت في عينيه الرقيقتين الدافئتين، وقالت: «يمكنك أن تعانقني».

ـ الآن؟

ـ الآن.

عانقها من دون أن يكترث لوجودهما في مقهى شعبي. كان أحلى عناق. رقيق، سخي. لكنها طردته من ذهنها عندما التفت ليواجهها، رافعاً النظارات الداكنة التي تمسكت بها لإخفاء مشاعرها أكثر منها هي للتخفي.

ـ هذا أحسن. لقد افتقدت عينيك، فهما تعكسان كل ما تشعرين به.

ونظر إليها طويلاً ثم حك رأسه وسألها: «أنت متعبة أليس كذلك؟».

ـ لا. أنا بخير. صدقني.

ـ لا أظن ذلك. كنت تخفين ذلك خلف هذه النظارات، مصممة على أن تبقي معي. . .

كساندر. . . أنا آسفة لأني جعلت من نفسي أضحوكة».

ـ يا حلوتي لورا.

الطريقة التي لفظ بها اسمها المختلفة عن طريقة الآخرين، كسرت قلبها.

ـ أردت أن تتحدث إلي، يا كساندر.

قالت هذا في محاولة منها لأن تبرّد حميمية هذه اللحظة. كانت تعلم ما يريد قوله. لكنها أرادت أن تسمعه منه، أن تسمع تنبيهه لها بأن هذه الفترة مهما كانت حلوة ورقيقة، ما هي إلا فترة استراحة عابرة في حياته ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك أبداً.

فقال لا يريد العجلة: «ربما على العشاء».

ـ العشاء؟

ـ أي مكان فيه مائدة وأطباق وسكاكين وشوك.

ـ هل هذه إشارة إلى أنك لم تستمتع بنزهتنا في أنحاء المدينة وعندما أكلنا شطائر اللحم؟

ـ هل كانت شطائر لحمة؟

تباً لألكسندر أورزينو! فقد لعب الدور الخطأ. ليس من المفترض به أن يمازحها، وأن يتعامل بظرف مع ركوب قطار الأنفاق والباصات وكأنه كان يفعل ذلك طوال حياته.

كان من المفروض أن يكره ذلك ويتملكه السأم ويتصرف بغطرسة و. . .

ـ إذن؟

ـ حسناً، لا أدري. هل عليّ أن أضع تاج الأميرات؟

أرغمت نفسها على المزاح. وشعرت بفمها يكاد ينشق من كثرة الابتسام فيما كل ما تريده هو أن تدفن وجهها تحت الوسادة ثم تبكي.

عندما كانت غاضبة هذا الصباح، ظنت أنّ من السهل أن تقوم بذلك. لكن بعد رؤيتها له في قسم تجهيزات المطبخ في متجر

كليبورن، والاستلقاء على العشب في حديقة هايد بارك العامة وهي تأكل الآيس كريم، لم يعد الأمر سهلاً بل أصبح أصعب ما في العالم.

كانت واثقة تماماً من أن صاحب السمّو الأمير ألكسندر لم يتعوّد قط أن تُرفض دعوته، لكنه لن يعلم أبداً كم كان قريباً من ذلك. ليس لأنها لا ترغب في الذهاب. على أيّ حال، فكرة جلوسها معه في مطعم صغير هادىء حيث لا يعرفهما أحد جعلت قلبها الأحمق يخفق بعنف لشدة ما رغبت في ذلك.

ولحسن الحظ من أجل كرامته وكبريائه، إن لم يكن من أجل راحة بالها، لن تستطيع أن تهرب منه بعد انتهاء عملها. ستتمكن بمساعدة جاي من الحصول على الصور التي وعدت تريفور بها. ولديها القصة أيضاً. ليست القصة الأساسية التي خططت لها بل قصة أمير أمضى وقتاً في العالم الحقيقي. وهذا سيفتن القراء في أنحاء العالم.

لكن العمل لم ينته!

لقد وعدت كاتي بثلاثة أشهر من التخفي، ولهذا عليها أن تلفت أنظار الناس إليها.

وفجأة، أصبح كل شيء جلياً. إنه يحافظ على المظاهر ويتابع الادعاء من أجل مصلحة كاتي. بعدئذ، سيذهب في طريقه ويتركها تواجه الصحافة في الأشهر القليلة القادمة، حيث ستصبح كل حركة منها معرضة للفحص الدقيق.

ستسلم العمل لتريفور بسرور، وبعد ذلك قد تتمكن من العيش وحدها.

وتنفست بعمق: «سيسرني تناول العشاء معك يا كساندر».

ـ سآتي لآخذك الساعة الثامنة.

وعندما أرادت أن تعترض وضع إصبعه على فمها: «لا أريد مزيداً من الأوامر الحازمة. سمحت لك اليوم أن تملي عليّ خطة رحلتنا في عصر المساواة هذا، أعرف أنك ستسمحين لي بأن أفعل الشيء نفسه

هذا المساء».

وأخرج هاتفها من جيبه حيث أظهرت الشاشة رسائل تنتظر.

ـ لقد سلختك عن حياتك يا لورا. الرجل الذي يريد أن يتحدث إليك عن وظيفة فرغ صبره.

ـ لا يهم. إنها ليست الوظيفة التي أريدها. لقد أدركت الآن أنني كنت أنظر إلى الناحية الخاطئة تماماً.

منحته شبه ابتسامة، آملة أن يتذكر ذلك وربما يعذرها: «إلى اللقاء في ما بعد».

نظر إليها وهي تصعد الدرجات المؤدية إلى بابها، تماماً كأي عاشق يجد من المستحيل أن يسلخ نفسه عنها.

أما بالنسبة إليها، فمجرد التفكير في أنها ستراه بعد ساعتين، جعل هذا الفراق محتملاً.

يبدو أن الجرح مهلك.

* * *

٩ ـ هدية ورسالة

ناولت جاي لورا الفنجان قائلة : «يبدو أنك بحاجة إلى هذا».

ـ كيف عرفت؟

رشفت القهوة ثم وضعت الفنجان على الطاولة وأخذت تتفحص الصور الموضوعة أمامها، تلمس كلاً منها، متذكرة كل لحظة احتجزتها عمتها اللامعة الذكاء في فيلم إلى الأبد.

أصابع كساندر مشتبكة بأصابعها وهما يسيران في الشارع.

تقطيبة حاجبيه وهو يرى شيئاً لم يألفه.

وجهه الذي يتهلل فرحاً في لحظة، ليظهر اهتماماً في أخرى.

وتذكّرت لحظات أخرى حميمة. كيف وضع فنجان الشاي بين يديها وهو يخفف عنها ويطمئنها ويصغي إليها حين أفضت إليه بمخاوفها. كان رقيقاً، وحنوناً للغاية.

كم ستفتقد ذلك!

ثم رأت ما يبدو أنها أول صورة التقطتها جاي. إنها تظهره في اللحظة التي سبقت رؤيتها له. كان في ملامحه شيء ينبيء بضعف، أظهرته بشكل يحطم القلب. بدا وكأنه يتألم بقدر ما تتألم هي.

دفعتها بعيداً، غير قادرة حتى على النظر إليها.

ثم رفعت بصرها فرأت جاي تتأملها، تنتظر رد فعلها. فقالت بكلمات مغتصبة : «إنها رائعة».

فقالت : «أنا مسرورة جداً لأنني اكتشفت أنني لم أفقد مهارتي».

وتابعت وهي تلتقط صورة تمثلهما معاً جالسين في مقهى في الهواء الطلق في الحديقة العامة : «النظارات الداكنة تعكس الغموض. من هي هذه المرأة المجهولة في حياة الأمير ألكسندر؟ من المستحيل معرفة ما تفكرين فيه أو تشعرين به».

ـ هذا ما يجعل الصور جيدة.

ـ متى ستسلمينها لتريفور؟

ـ تريفور؟

ـ متى يتوقع منك أن تسلميها له؟

جمعت الصور الغالية التي تمثل يومهما الخالد، وضمتها إلى صدرها وكأنها تحميها ثم همست : «لا أستطيع القيام بذلك».

ثم أردفت بصوت مرتفع: «لا يمكنني القيام بذلك يا جاي. كان تريفور على حق تماماً. وأنت أيضاً».

ونظرت إلى صورة كساندر يقف وحده في المتجر قبل أن تراه، ثم طفرت من عينها دمعة على الصورة فمسحتها بحذر: «لا يمكنني إتمام هذا العمل».

ـ لم تكن النظارات الداكنة من أجل الصور إذن، بل وضعتها لتخفي مشاعرك عن ألكسندر.

ـ أعرف أنك لن تفهميني أبداً. أنت فعلت الكثير من أجلي، وتعاطفت معي كلما اضطربت أموري. والآن، عندما حدث كل هذا لمصلحتي فإذا بي ألقي به بعيداً. . .

وكانت ستقول (من أجل الحب).

لكن هذه حماقة أرادت أن تحتفظ بها لنفسها. وتابعت تقول وهي لا تزال تشدّ الصور إلى صدرها: «لا يحقّ لي أن أطلبها منك يا جاي، فهذه صورك وتملكين حق نشرها».

ـ آه أرجوك. أطلبيها مني. لا يمكنك أن تدركي مدى سعادتي لإنك رأيت النور أخيراً.

حدقت إليها بدهشة: «ماذا؟».

ـ لقد تقبلت الحقيقة. إذا كان هذا يعني أنك ستتوقفين عن إرهاق نفسك وأنت تحاولين أن تكوني نسخة عني أو عن أمك، وأنك اكتشفت حقيقة نفسك، فإحراقك هذه الصور يستحق كل قرش. . .

لم تفهم لورا: «ألست غاضبة مني؟».

ـ غاضبة؟ كنت قد بدأت أيأس منك. عرضت عليك أصعب قصة استطعت التفكير فيها، آملة أن تدركي في النهاية أنك لم تُخلقي لمثل هذا العمل. فماذا حدث؟ إذا بك تكتبين قصة العام وهذا ما كنت أخشاه على الدوام. إن قصة كهذه ستجعلك تلتزمين بقية حياتك بالصحافة ما لن يجعلك سوى تعيسة.

انتصبت لورا في جلستها فجأة وقالت: «لكنك كنت تشجعينني وتساعدينني».

ـ هذا ما كنت تريدينه. وكنت سأفعل أي شيء يجعلك سعيدة. ربما لو كنت أمك، لما خفت أن أعترض عندما لجأت إليّ في البداية. لكن هذا لا يعني أنك كنت ستصغين إليّ . . .

فتحت لورا فمها لتدافع عن نفسها، ثم عادت فسكتت، لتقول بعدئذ ضاحكة ورأسها يدور ارتياحاً: «طبعاً ما كنت لأصغي إليك».

ـ مسكين تريفور! لو أنك تتمتعين بشيء من القسوة، لأصبحت صحافية لامعة. كان يعلم ذلك ولهذا غضب منك.

فزمجرت تقول: «سيقتلني. طلبت منه أن يحجز مكاناً في الصفحة الأولى للصورة والصفحة الثالثة للقصة . . .».

ـ متى يُفترض بك أن تسلّمي القصة؟

ـ بعد السباق، عليّ أن أعلمه.

وعليها أيضاً أن تخبر كساندر الحقيقة كلها. وتناولت الصور ثم قبّلت جاي قائلة: «كنت لي أماً رائعة يا جاي. شكراً على كل شيء».

ـ بكل سرور. استمتعت باللحاق بكما طوال النهار رغم أني

تركتكما حين هربتما من «لندن آي»، فقد انتظرت طويلاً في الصف ولم أشأ أن أرحل. هل سترين الكسندر الليلة؟

ـ دعاني على العشاء وعليّ أن أستعد لذلك. سأعطيه هذه الصور يا جاي وأخبره الحقيقة.

ـ أأنت واثقة؟

ـ تماماً.

ـ وماذا عن «أسكوت»؟

ـ لقد وعدت. إنه من أجل كاتي، ولهذا أعلم أنه سيلتزم بالدعوة.

ـ إذن، سأقدم لك شيئاً خاصاً تلبسينه ودعي تريفور لي. سأخبره برفق بالغ أن سبقه الصحفي أفلت منه. لا أظنه سيدهش تماماً لذلك.

لبست ثوباً أسود بسيطاً وأنيقاً. ثم رفعت شعرها، ووضعت في أذنيها قرطين طويلين سوداوين. كما ربطت منديلاً أسود مخملياً حول عنقها وشبكت فيه وسام استحقاق مونتورينو الذي منحها إياه.

أرادت أن تلبسه ولو مرة.

وعندما أصبحت جاهزة، جلست تكتب رسالة لكساندر تخبره فيها بكل شيء. وضعت القصة كلها مع الصور ثم لفتها بورق مذهب، فهي تساوي ثروة.

كانت الساعة الثامنة عندما سمعت صوت جرس الباب يقرع. جاهدت لترسم على وجهها ابتسامة وسارت لتفتحه، وإذا بابتسامتها تتجمّد.

لم يكن الطارق ألكسندر، بل خادمه الذي قال بعد انحناءة خفيفة: «آنسة فارنديل. طلب مني سمّوه أن أسلّمك هذا».

كان مغلفاً مربعاً مصنوعاً من ورق ثمين. أخذته وقالت: «شكراً».

ماذا يمكنها أن تقول غير ذلك؟

ويبدو أن الرجل ظنها تطرده لأنه قال: «عليّ أن أنتظر».

هزت كتفها، ثم فتحت المغلف وأخرجت منه الورقة الوحيدة

وفضّتها: «أعذريني يا لورا. لا يمكنني الخروج لكن فيليب سيحضرك إليّ وسأشرح لك الأمر حين أراك. كساندر».

أي شك ساورها بالنسبة إلى مشاعرها نحوه تبدد بعد رد فعلها على هذه الرسالة. الإرتياح... الفرح.

تناولت وشاحها وحقيبة يدها المسائية واللفافة الذهبية الأنيقة، وتبعت فيليب إلى الرولز رويس المتوقفة عند المنعطف. لا شيء غير عادي في هذا.

فتح فيليب الباب لها، وانحنى قليلاً وهي تصعد ثم أغلق الباب خلفها وجلس بجانب السائق.

سمحت لنفسها، أثناء الرحلة، بأن تحلم. ما هو طعم هذه الحياة؟ وقبل أن تقرر ما إذا كان ذلك رائعاً أم مخيفاً، دخلوا الفناء خلف منزل كساندر ثم قادها فيليب إلى ردهة فسيحة حيث قال: «سموّه في مكتبه وهو يدعوك للانضمام إليه».

ـ شكراً. كانت رحلة سهلة وجيدة.

فقال: «وجود علم الدولة يفعل المعجزات يا سيدتي دوماً».

علم الدولة؟ أكانت تسير في شوارع لندن في سيارة ترفع العلم الملكي؟ هل هذا قانوني؟ فقالت: «حسناً، سوف... سأحاول أن أجرب ذلك على دراجتي».

أدهشها أن الخادم المتغطرس قال ضاحكاً: «سأرى إن كان لدينا علم إضافي سيدتي».

ثم استدارت وصعدت السلم بسرعة. مهما كان ما يحدث، فهي تريد أن تنهي الأمر. وهكذا، اندفعت إلى مكتب كساندر وهي تقول من دون أن تترك له مجالاً ليبدأ الكلام: «ما كان عليك أن تقوم بكل تلك المسرحية. كان بإمكانك أن تتصل بي فأطلب سيارة أجرة».

وتلاشى صوتها وهي ترى وجهه... بدا مختلفاً للغاية عما كان عليه عندما ودّعها منذ ساعات فقط. ورأت القلق واضحاً عليه.

ـ ماذا حدث؟

ـ كاتي مفقودة.

وضعت ما في يدها على أقرب أريكة ثم تقدمت منه وأمسكت بيديه وقد اختفت من ذهنها أي فكرة أخرى: «متى؟ وكيف؟ هل وصلت إلى بيتها سالمة؟».

ـ اتصلت أمها في وقت الغداء. كانت شديدة القلق حين تحدثت إليها. يبدو أنها خرجت حالما وصلت إلى بيتها.

ـ هل بقيت مفقودة طوال الليل؟ لماذا لم يتصل بك كارل؟

ـ لأنني تركت هاتفي الخلوي، لم أشأ أن يُفسد نهارنا شيء.

شعرت بوجهها يشحب. كانت تجول به في أنحاء لندن فيما هم بحاجة إليه هنا.

ـ كساندر، كم أنا آسفة.

فقال بسرعة: «لا، لا تقولي هذا».

ـ تريد أن تضع اللوم كله عليك، أليس كذلك؟

حدّق إليها، فهزّت رأسها. لم يكن هذا وقت الاعتراف بالذنوب: «أخبرني بما حدث».

ـ وصلت الطائرة في موعدها، واستقبلوا كاتي في المطار وأخذوها إلى البيت. يبدو أنها أخبرت أمها أنها تشعر بالمرض وذهبت رأساً إلى السرير. وكان على أمها أن تذهب إلى حفلة خيرية فتركتها وخرجت.

ـ وبعد ذلك؟

ـ صعدت الخادمة حوالى الثامنة لترى إن كانت تحتاج شيئاً، لكن عندما رأت أنّ كاتي ما زالت نائمة لم تزعجها. كانت تعلم أن كاتي يمكنها أن تحضر لنفسها شيئاً من المطبخ إذا جاعت.

ـ هل عليّ أن أتأثر بقدرتها على الاعتناء بذاتها؟

فقال بشبه ابتسامة: «ليس كثيراً. شقيقتي لم تستيقظ قبل وقت

الغداء. حينذاك، رأت أن الوقت حان لكي تتفاهم مع ابنتها المتعبة على انفراد فصعدت إلى غرفتها لتكتشف أن كاتي ليست في سريرها بل وجدت وسائداً موضوعة بشكل فني متقن».

ـ ألم يفتقدوها على الغداء؟

ـ إنها تتناول فطورها وحدها عادة ثم تخرج للنزهة على ظهر الفرس. ولكن لولا أمها لما افتقدها أحد قبل المساء.

ـ أصبحت فتاة في الهرب، أليس كذلك؟ يبدو أن تذرعها بالمرض كان لكسب الوقت.

ـ لقد حذرتني.

ـ نعم، ولكن عليك ألا تلوم نفسك حقاً.

ـ لما لا؟ من هناك غيري؟

ـ كساندر، لديها أم كما لديها أب في مكان ما.

ـ إنه ليس بالرجل ذي الشخصية المميّزة. إنه إحدى أهم غلطات شقيقتي، أم ينبغي أن أقول أقلّها أهمية؟ لو لم أفرض رأيي بذلك الشكل، وعاملتها كراشدة وأظهرت لها ثقتي بها...

لم تحتمل لورا أن تراه متكدراً بهذا الشكل، فضمته إليها قائلة: «هششش...».

تعلق بها لحظة كغريق يتعلق بلوح خشب: «يمكنها أن تكون في أي مكان، يا لورا».

ـ لا، لا. لم تهرب في الليل.

في الواقع، كان لديها فكرة عمن لجأت إليه بالضبط: «كان لديها الكثير من الوقت لتخطط، منذ اللحظة التي تركت فيها شقتي».

خطر لها أن تخبره باعتقادها أن كاتي استدعت المصوّر بنفسها، ثم عادت فغيرت رأيها.

ـ هل من المفروض أن يخفف هذا عني؟

استندت إلى الخلف وأخذت تتأمله: «هيا، أنظر إلى الناحية

المشرقة من الأمر».

فقال غير مصدق: «الناحية المشرقة؟ وما هي؟».

ـ أولاً، لا أظنها اختُطفت هذه المرة.

اعتبر كلامها هراء، فقال: «أرجوك خبرني أن هناك ثانياً».

ـ ثانياً، ليس عليك أن تدفع ثمن تذكرة عودتها إلى لندن.

ـ أتظنينني أهتم...

فقاطعته: «كساندر، ضع نفسك مكانها. أنت فتي، وعاشق وغاضب جداً من شخص متسلط عليك. إلى من تلجأ طلباً للسلوان لتتخلص من رفقة الراشدين؟».

الجواب كان سهلاً، كما رأى كساندر وهو يحتضن لورا. كان غاضباً وخائفاً أكثر من أي وقت مضى. إنه وقت يحتاج فيه المرء الى أسرته المقربة منه والى مستشاريه، لكن الشخص الوحيد الذي أراد أن يبقى معه هو لورا. وخلافاً لكل المبادىء التي نظّم حياته على أساسها، اتجه إلى لورا لطلب العون.

الغريبة!

لقد أحضرها إلى هنا وكان على حق.

فقد رفضت كل الكلام الفارغ، وتصرفات شقيقته الحمقاء والتنبؤات المخيفة وشعوره المثير للغثيان بالذنب.

ـ إذا كان رأيك أنها عادت مباشرة إلى لندن، أنت مخطئة. لقد سبق وتحققت من ذلك. فهي لم تستقل أي طائرة غادرت مونتورينو في الساعات الأربع وعشرين الماضية.

ـ الرجال منطقيون بينما الفتيات الصغيرات جريئات ومراوغات. لن تعود مباشرة إلى طار مونتورينو حيث يعرفها الكل، وحيث يمكن أن يطرحوا عليها أسئلة مربكة. لكن حدود أوروبا مفتوحة. لعلها اجتازت الحدود مع إيطاليا في ساعتين ثم استقلت الطائرة. كل ما عليها أن تقوم به هو اتصال هاتفي بصديق.

وسارت إلى حقيبة يدها وأحضرت هاتفها الخلوي، وثم سألته: «هل لديك رقم هاتفها الخلوي؟»

ـ هل ستحاولين الاتصال بها؟ ألا تظنين أنني فعلت ذلك من قبل؟ وكذلك أمها؟ وتركنا لها رسائل!

ـ ماذا قلتم لها؟ عودي إلى البيت أيتها البنت الشقية وستسجنين حتى تنتهي سنوات مراهقتك؟

ومدّت يدها تلامس يده مواسية مضيفة: «إنها لا تريد أن تعود إلى البيت، يا حبيبي. ولن تجيبكم لئلا تسمع صراخكم».

ـ أنا لم . . . لن . . . يبدو أنك تفهمين الوضع جيداً. ولكن لماذا تظنينها ستصغي إليك؟

ـ سنحاول، وأظنها تثق بي.

نظر إليها لحظة متردداً ثم قال: «إنها تثق بك طبعاً. فقد دافعت عنها ووقفت بجانبها وطالبت لها ببعض الحرية».

ـ كنت صادقة في ذلك يا كساندر.

ـ أعلم هذا فقد كنت أصغي، وإنما ليس بالحماسة الكافية.

وأعطاها الرقم ثم انتظر اتصالها.

ـ كاتي، لقد تدخّلت ودافعت عنك وعن حقك في الحرية ونجحت ببعض الشيء. . . فتفعلين هذا بي.

وأخذت تسير على السجادة: «أنا مستاءة منك. نعم. كساندر لم يتعامل مع الوضع بشكل جيد».

ورفعت إصبعها تمنع كساندر من مقاطعتها: «لكن قلبه في المكان الصحيح. كان قد قرر ترحيلك لئلا تلفتي الأنظار عند عودتك إلى لندن في العطلة الأسبوعية. لقد رتب الأمر بحيث تسكنين مع مربية عجوز أثناء ذهابك إلى المدرسة هنا، مع حرية كافية تماماً. كل ما عليك أن تفعليه هو أن تتجنبي القيام بأي حماقة، كالقبض عليك لأنك في نادٍ ليلي بينما أنت دون سن الرشد».

قالت هذا محاولة أن تذكّر الفتاة التعيسة بسبب كل هذا المشاكل منذ البداية ثم أضافت: «أو الهرب. أظن أن بإمكاني أن أقنعه بالالتزام بتلك الخطة. . .».

ونظرت إليه تستشيره فأومأ برأسه. إنه مستعد لأن يفعل أي شيء.

وتابعت: «إنه يومىء موافقاً ولكن انسي أمر كساندر لحظة، فلدي بعض الشروط. أولاً، اتصلي بأمك وأزيحيها عن ظهر خالك قبل أن تفسد علينا سهرتنا. ثانياً، اذهبي إلى تلك المربية الآن. ثمة شيء آخر».

ونظرت إليه قبل أن تردف: «حسناً، تذكّرت، امنحي ميشيل قبلة بالنيابة».

وقطعت الاتصال ثم قالت: «والآن سننتظر».

ـ إلى متى؟

ـ حسناً، سيرن الهاتف ليعلمها بأن ثمة رسالة لها. أما اهتمامها بها فيتوقف على مقدار شعورها بالذنب وعما لديها غير ذلك ليشغلها.

ـ أرجوك. لا أريد أن أفكر في ما تفعله الآن. هل الوقت كافٍ لكي أريك كم أنا أقدر لك معونتك هذه؟ عدا عن التفكير المنطقي الواضح، لديك القدرة على التعامل مع المراهقات المتعبات. . .

ـ ليس هناك وقت كافٍ في العالم. . .

ـ أنا أصنع الوقت.

وكان ما يزال يحتضنها بين ذراعيه عندما اتصلت به أخته لتخبره بارتياح أن الأزمة انتهت.

قال وهو يضع السماعة: «والآن فلنخرج من هنا».

ـ ألن تنتظر حتى تتصل بك كاتي؟

ـ لن أضيّع دقيقة أخرى من هذه الأمسية في القلق على ابنة أختي.

وأخذ منها هاتفها وأقفله ووضعه في جيبه: «هل قلت لك إنك تبدين رائعة الجمال؟».

www.elromancia.com

ـ لا.

ورفعت حاجبيها تشجعه، فهي مجرد بشر.

أمسك بيديها وقال: «تبدين رائعة الجمال، وهذا «البروش» جميل. لديّ ما يلائمه.

وتأملها لحظة، ثم سار نحو الهاتف: «لحظة واحدة».

وبعد لحظات فُتح الباب ودخل فيليب وهو يحمل كرسياً صغيراً من دون ظهر وضعه أمامها، ثم تبعه رجل كبير في السن يحمل علبة جلدية كبيرة.

أشار كساندر إلى المقعد: «لورا».

ـ لا، يا كساندر. أبداً.

ـ هلا نسيت للحظة واحدة أنك جمهورية الميول وتساهلت مع ولي عهد مونتوربنو؟

ـ ليس في هذه اللحظة.

فرفع اصبعه: «حسناً يا كارل».

جاء هذا بالعلبة وفتحها فأخرج كساندر شريطة زرقاء معقودة بشكل فراشة يتدلى منها وسام الإستحقاق. ثم أشار إلى الرجلين بالخروج من الغرفة بحركة تجلت فيها السلطة إلى حد أذهلها. وبعد خروجهما، قال بابتسامة عريضة: «لديّ سمعة عليّ أن أحافظ عليها، وأنت تفسدينها».

ثم شبك العقدة مع الصورة المصغرة لجده على كتفها: «للخدمة التي أديتها لدولة مونتوربنو أمنحك وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى».

سألته وهي تكبح مزيجاً من الضحك والدموع: «الدرجة الأولى؟».

ـ أنت لا تستحقين أقل من ذلك.

لمست الوسام بإصبعها: «سأعتز به وأحافظ عليه يا صاحب

السمو».

ثم أضافت: «لديّ شيء لك، أنا أيضاً».

ونظرت حولها تبحث عن اللفافة ثم سلّمته إياها قبل أن تفقد أعصابها. وعندما حاول أن يفكّها قالت: «لا تفتحها إلا عندما تصبح وحدك».

سألها: «هل هذه إشارة الى أن أمسيتنا البارحة يتيمة؟».

ثم نظر في عينيها مباشرة بقوة حبست أنفاسها.

ـ هذان اليومان لم يكون عاديين على الإطلاق يا كساندر. لكنهما ليسا مناسبين لي أو لك. هل هذا ما أردت أن تقوله لي؟ لا بأس يا حبيبي نحن الاثنين نعلم أن ما حدث بيننا ليس التزاماً طول الحياة.

ـ في الواقع، هذا ليس ما كنت أنوي أن أقوله، ولكن لا تقلقي بهذا الشأن. ما سأقوله يمكن أن ينتظر إلى ما بعد الطعام، فأنا أكاد أموت جوعاً.

ووضع اللفافة في جيبه، ثم تأبط ذراعها ونزلا السلم ليخرجا إلى سيارة الرولز التي تنتظرهما.

* * *

١٠ ـ أميرتي العادية

يقع المطعم الذي اختاره كساندر على ضفة النهر، وكان الطعام فيه رائعاً والجوّ شاعري، ليس عادياً أبداً.

ـ هذا خداع كما تعلم. يفترض بك أن تتناول المعكرونة في مطعم متواضع.

ـ أعلم هذا، لكنني أردت... اسمعي. سئمت تأجيل الأمر، وأريد أن أنتهي منه.

أزاح الفطيرة اللذيذة التي كان يعبث بها جانباً، ثم استدعى النادل: «هل لك أن تطلب من الطاهي أن يؤجل الطبق الثاني؟».

شحب وجه الرجل، لكن كساندر كان قد وقف: «هل لك أن تأتي معي يا لورا؟ لا أستطيع أن أؤجل هذا الأمر أكثر».

عظيم. وكأنما لا يكفي شعورها بالذنب.

خرجا إلى رصيف صغير، حيث خلع سترته ووضعها حول كتفيها عندما أخذت ترتجف. لم تشعر بالبرد بل بالتوجّس مما سيقول. لكن السترة كانت دافئة تفوح منها رائحة جسده، ما أشعرها بارتياح في عميق.

قال: «عليّ أن أعترف لك بأنني أقدمت أمس على فعل فظيع. وهذا ما حاولت أن أقوله لك طوال النهار».

ـ فظيع؟؟

ـ نعم، أمس بعد الظهر عندما نمت في الحديقة.

شعرت بالغثيان. سيخبرها أنه علم أنها صحافية. وعندئذ ستخبره الحقيقة كلها وتريه الصور، فيضعها في سيارة أجرة، ويرسلها إلى بيتها.

وتنتهي القصة، وينتهي كل شيء.

سألته مازحة: «هل فتشت في أنحاء شقتي؟ لتتأكد من عدم وجود جاسوس أجنبي فيها؟».

كانت لتضحك حين أجفل لولا تحطم قلبها.

ـ أنت إذن تعلمين.

هزت كتفيها بعدم اهتمام: «طالما أنك لم تفتح درج ملابسي الداخلية، فأنا أسامحك».

ـ أحقاً؟ وإذا كان الأمر أسوأ من ذلك؟

ـ أسوأ من درج الملابس الداخلية؟ هل هناك ما هو أسوأ؟

أرادته أن يضحك لئلا يتلفظ بتلك الكلمات. لكن ملامحه كانت تعكس أي شيء ما عدا الهزل: «يمكنني أن أدّعي أن شعوراً مفاجئاً بوجوب الحذر تملكني، وأنني أردت أن أحمي نفسي من إمكانية ألاّ تكوني مجرد فتاة جميلة مليئة بالحيوية رغبت في أن أمضي معها بعض الوقت. بل الكثير من الوقت، وربما بقية حياتي».

توقف قلبها عن الخفقان مرة، ثم أخرى. وظنت أنه لن يخفق بعدئذ أبداً.

ـ في الواقع، ادّعيت ذلك أمام نفسي. حدثت نفسي بأنك قد تكونين أي شخص، وأنني تركت نفسي مكشوفاً تماماً. وهذه ليست عادتي.

ـ ثم؟

وشعرت فجأة أنها تريد أن تسمع كل شيء.

ـ لكن الحقيقة هي أنني كنت مجرد رجل غيّور. ولذا، وفيما كنت نائمة، وضعت قابس الهاتف وضغطت زر الإعادة لأعرف من الذي

اتصلت به.

غيور؟ أحقاً كان غيوراً؟ لم تعلم هل تضحك أم تبكي. وأوشكت على البكاء.

كان يحدّق إلى النهر، وبدا أن اعترافه انتهى. فسألته: «ثم؟ هل هذا كل ما فعلته؟».

نظر إليها وأجاب: «خنت ثقتك، ألا يكفي هذا؟ من الطبيعي أن يشكك الإنسان، فالحذر واجب، وهكذا حدثني العقل أن أفعل أكثر. وضعت يدي على حقيبة يدك. كان من المفروض أن أحمي مصالحي. لكن قلبي لم يسمح لي بذلك».

كان صادقاً، ولا يمكن لها أن تكون أقل منه صدقاً.

ـ لقد خذلك قلبك، يا كساندر.

كما تفعل القلوب عادة في أكثر الاوقات إرباكاً وأضافت: «فأنا صحافية. بل كنت صحافية. وقد طُردت من عملي في اليوم الذي سبق لقاءنا، وذلك لعدم الكفاءة».

أضافت الجملة الأخيرة عندما سألتها ملامحه بصمت عن السبب: «وكنت مستعدة للقيام بأي شيء لأستعيد وظيفتي. بل ظننت أنني مستعدة للقيام بأي شيء».

وأخرجت لفافة الصور من جيب سترته وسلّمته إياها: «في الواقع، فعلت ذلك. لقد عرفت أنك تفحصت هاتفي. لأن هاتف عمتي يُظهر أرقام المتصلين. جاءت إليّ هذا الصباح لتسألني لماذا اتصلت بها، ووضعت السماعة من دون كلام. ولا يمكن أن يكون المتصل سواك».

ـ فهمت، وهذه؟

وأشار إلى اللفافة وكأنها ستعضه.

ـ كان هذا انتقامي، لأنك تفحصت هاتفي. لو فتحت حقيبة يدي لوجدت الكاميرا المخبأة و...

جمّدتها ملامحه، ولكنها ستستمر في الكلام: «ظننتك أتلفت الفيلم. وهكذا، جعلت جاي تتبعنا اليوم النهار لأنها مصورة صحفية. وهذه هي كل الصور التي التقطتها».

حدّق إلى اللفافة في يده لحظة، ثم نظر إليها: «لقد فعلت هذا لأنك ظننت أنني الليلة الماضية، عندما عانقتك بشغف، عندما فقدت عقلي لشدة شوقي إليك... عندما كنت مستعداً للتخلّي عن أي شيء في سبيل أن أتركك وأنقذ نفسي من ألم فراقك... حينذاك كنت تظنينني استغلك وأخدعك؟».

ـ ليس حينذاك، ثم اعتقدت...

ورفعت وجهها إليه، وارتجفت عندما لفح الهواء البارد خديها المبللين:

ـ أنا مسرورة لأنني كنت مخطئة، وإن كان هذا غير مهم في النهاية. هذه هي الصور والفيلم الأساسي وقد كتبت لك رسالة حاولت فيها أن أشرح...

مسح دموعها التي لم تنتبه إلى انهمارها على خديها ثم قال: «لم يخذلني قلبي يا لورا. عقلي هو الذي فعل. كان منطقياً تماماً. لكنني، يا حبيبتي، واجهت الواقع الليلة الماضية. لقد أخبرتك أنني سأهرب من أي امرأة أحبها لدرجة أن أرغب في قضاء حياتي معها، لكي أوفر عليها الشقاء. ثم اكتشفت أن ما يسهل قوله حين لا يكون المرء عاشقاً، يصبح صعباً للغاية، خاصة عندما لا يحتمل التفكير في قضاء حياته من دون من يحب».

لكنها ليست من الأميرات. إنها مجرد فتاة عادية.

ـ الحب جنون مؤقت يا كساندر. وستتغلب على ذلك.

ربما.

ـ لعله جنون مؤقت، لكنه يجعلك تتخلين عن صور ستكسبك ثروة.

ـ ربما.

عندئذ ابتسم: «لكنك تخليت عنها. هل هي صور جيدة؟».

أخذت اللفافة منه وفتحتها ثم راحت تعرض عليه الصور تلو الأخرى. وتأمّل كل واحدة منها طويلاً.

ـ عمتك موهوبة جداً. إنها صور رائعة. الصور السيئة تكسبك ثروة، أما هذه فأنت التي تحددين ثمنها.

بقيت الرسالة في يدها فقدمتها إليه لكنه هزّ رأسه: «لا أحتاجها. ما من شيء فيها لا أعرفه عنك».

حسناً، لقد أوضحت كلمة صحافية كل شيء.

وقالت: «هذا صحيح. هل لك أن تأخذني إلى بيتي من فضلك؟».

فقال متجاهلاً طلبها: «تظنين أن قرار عدم الزواج الذي اتخذته مبالغ فيه... أليس كذلك؟».

ـ إنه خيارك وأنا أحترمه.

ـ لكنك لا تفهمينه. لا أحد يفهمه. جدي وحده يفهمه.

ووضع الصور في جيبه ثم أمسك بيدها وأخذا يسيران: «أنت صحافية، وهكذا أتصور أنك درست تاريخ أسرة أورزينو. وبالتالي عرفت الرواية الرسمية عن كيفية موت والديّ».

ـ في حادث تحطم مركب مأساوي. كانا في نزهة شاعرية في بحيرة بعد صلح إثر مشاكل زوجية. وحدث انفجار بسبب تسرب الغاز.

ـ لم يكن الأمر كذلك يا لورا. لقد التُقطت صورة لأبي في حفلة بدا فيها بشكل غير محتشم مع امرأة أخرى. وقد دفع غالياً ثمن لحظة الحماقة هذه. لكنك تعلمين كيف تجري الأمور. عندما يكون المرء وريثاً لعرش قديم، كل ما يفعله يثير اهتمام الصحافة، لا سيما الحماقات.

ـ لا أفهم ما صلة ذلك بالانفجار؟

ـ كانت أمي امرأة ضعيفة الأعصاب، وكانت الإشاعات تقول إن زواجهما يمر بمصاعب. في الواقع لقد تعرضت للإجهاض مراراً حتى تملكتها كآبة عميقة. وسبق لها أن شعرت أنها امرأة وزوجة فاشلة. وعندما رأت تلك الصورة، كتبت رسالة ترجو فيها أبي أن يسامحها لأنها خذلته. ثم تناولت جرعة كبيرة من الحبوب المخدرة. وعندما جاء أبي وقرأ الرسالة أطلق النار على نفسه. أما الصلح، وانفجار المركب فمسرحية للتغطية افتعلها جدي ليفسّر موتهما معاً.

سألت بذعر: «هل هو من أخبرك بذلك؟».

ـ لا، بل جدتي قبل موتها. فقد خافت أن أكرر أخطاء أبي. أرادت أن تنبهني إلى سهولة إيذاء الآخرين بشكل لا يمكن إصلاحه.

كان ذلك عندما التمس ملجأ في منزل أسرة جوليييت. كان قد قرر أن يغيّر حياته، ولكن حتى قراره هذا أفسده تطفل الصحافة. وحين استعرضت ذلك في ذهنها، تفهمت كرهه للصحافة. أمسكت بيده: «كم أنا آسفة».

فالتفت إليها: «لم أخبرك بهذا لتشعري بالأسف عليّ يا لورا. أخبرتك بهذا لأثبت لك أنني أثق بك. أنا الآن بين يديك كلياً. أسرتي كلها بين يديك».

وأمسك راحتيها إلى أعلى مضيفاً: «هنا بالضبط».

ـ أنت آمن تماماً يا كساندر. حاولت أن أعثر على الرجل خلف واجهة الأمير، فوجدته.

ـ أنت فعلت أكثر من ذلك. لقد غيّرته. لا أدري كيف أظهر لك إخلاصي وثقتي البالغة بك بغير هذا.

ـ لم تخطىء حين وضعت ثقتك فيّ، صدقني. وسأحتفظ بأسرارك في قلبي.

ـ وأنا؟ هل من مكان في قلبك لمستبد متغطرس متمسك بالمبادىء

الرجعية البالية؟

ـ كساندر ؟

ـ هل من طريقة تجعل امرأة جمهورية الميل تفكر يوماً في أن تصبح أميرة؟

كادت تفقد قدرتها على التنفس: «ماذا حدث إذن لكلامك عن الهرب من أي امرأة تحبها لدرجة الرغبة في قضاء حياتك معها؟».

ـ حين أتخذت قراري هذا كنت شاباً متألماً، خائفاً من أن تكون الجدة على حق. ومنذ ذلك الحين لم أقابل امرأة استطاعت أن تخرجني من ذلك الشعور بالإشفاق على الذات.

ـ لا؟

ـ ثم قابلتك أنت، ورغبت فيك منذ اللحظة التي رأيتك فيها. أحببتك وهذا ما دفعني الى الذهاب إلى شقتك حاملاً سترتك.

ـ أوه.

ـ رغبت في أن أكون معك، أن أعانقك، وأضمك بين ذراعيّ. والآن أصبحت أرى فكرة الهرب غير مقبولة. أنت قوية يا لورا. ومعاً سنكون قوّة لا تُقهر. هل تتزوجيني؟ هل تكونين زوجتي؟

ـ ولكن . . . ولكن . . . لا يمكنني أن أتزوجك.

وشعرت بسخافة قولها هذا.

ـ أخشى أنك مرغمة على ذلك يا عزيزتي، وإلا فكيف أثق بأن أسراري في مأمن؟

أوشكت أن تعلن له بحماسة أنها لن تخونه وتفضح أسراره أبداً، لكنها عادت فسكتت. ثم قالت بجد: «حسناً، نعم. أظن أن هذا سيبقى مصدر قلق مستمر لك».

ـ والبديل الوحيد هو أن أسجنك في برج قلعة.

ـ ليتفرج عليّ السيّاح؟

فابتسم: «سأزورك يومياً».

ـ كساندر، هذا مستحيل. أنا عادية أكثر من اللزوم.

ـ العالم بحاجة إلى مزيد من الأميرات العاديات، يا حبيبتي. أميرات لهن قلب كبير ومشاعر قوية وشرف. هل لك أن تكوني أميرتي، يا حبيبتي؟ وتساعديني في قيادة شعبي إلى هذا القرن الجديد بروحك الرائعة وفتنتك؟.

ونظر في عينيها مضيفاً: «أعلم أنك ستسامحيني على ما سأقوله، لكنك ستحتاجين إلى مهنة جديدة».

ـ الزواج ليس مهنة.

ـ بل هو كذلك عندما ترتبطين برئيس البلاد.

ـ ولكن . . .

عندئذ تذكر صاحب السمّو الأمير ألكسندر ميشيل جورج أورزينو أن من المفروض أن يكون مستبداً، فصمم على أن يتصرف على هذا النحو.

وآخر ما خطر في بال لورا هو أن تريفور سيحصل على سبقه الصحفي.

***

أعلنت خطوبتهما خلال السباق الملكي في «أسكوت». وركبت لورا عربة مكشوفة كانت جزءاً من الموكب الملكي وكساندر بجانبها فيما جلس جده وكاتي أمامهما والبهجة تكتنفهما. كانت الأميرة الصغيرة قد أعلنت أنها لن تدع المناسبة تفوتها بأي ثمن حتى ولو بدت أشبه بالفطر الوردي.

وفي الصباح التالي، نشرت تلك الصورة في الصفحة الأولى لكل الصحف. ولكن تريفور كان الوحيد الذي حصل على تفاصيل أكثر من تلك التي أعطيت للصحف، كما حصل على صورة تظهر كيف يغازل سمّو ولي عهد مونتورينو أميرته العادية. وهما يسيران في الحديقة العامة، ويطعمان البط، وحتى صورة تظهر سمّوه وهو يشتري البصل

في السوبر ماركت.

افتتن العالم مثله بأميرته العادية وحكاية حبهما الشاعرية. ورفعت الصور ثمن الصحيفة، وهذه الزيادة في الثمن حوّلت إلى الجمعيات الخيرية تحت إشراف صاحبة السمّو الأميرة لورا. وكانت هذه إحدى الوظائف الهامة المثيرة التي تنتظرها عندما تعود من شهر العسل.

لكن هناك العرس أولاً.

***

أُقيم الزفاف في أيلول حين ينمو الزعفران في مروج جبال الألب، وتغطي الثلوج الأولى أعالي القمم.

وصلت لورا إلى كاتدرائية مونتورينو القديمة في عربة أسطورية تجرها ستة أحصنة، ولم يكن لديها رجل من أقاربها ليسلمها إلى العريس بحسب التقاليد. ركبت جاي معها تتبعهما كاتي ونصف درينة من وصيفات العروس الصغيرات.

وفي تلك اللحظة، لم تشعر لورا بأنها عادية. ولم يكن لذلك علاقة بهذا الثوب الحريري الفخم البسيط و«الكاب» القصير الذي يغطي كتفيها وذراعيها في الكاتدرائية، والذيل الطويل، أو الجواهر التي ترصع التاج الذي أمر كساندر بصنعه لها خصيصاً لتلبسه في يوم الزفاف.

النظرة التي بدت في عينيه وهو يتجاوز التقاليد فيترك من حوله ليتقدم في ممر الكنيسة مستقبلاً عروسه... الطريقة التي مد بها يده إليها وكأنه يقدّم قلبه، وعندما مدّت يدها إليه أخذها... وللحظة، شعرا وكأنهما وحدهما.

ثم سارا معاً نحو المذبح حيث رددا العهود التي ربطتهما معاً إلى الأبد.

بعد أبهة وفخامة العرس، اختفيا من على وجه الأرض مدة ستة أسابيع لم يشعرا خلالها بالعالم. استمتعا ببساطة وهدوء كرم عنب

كساندر وبمهرجان الحصاد بعد عصر العنب.

- علينا أن نكفّ غداً عن التصرف كفلاحين، ونعود إلى حياتنا العادية يا حبي. هل أنت جاهزة لذلك؟

فردّت: «حسناً، أنا لم أمض حياتي أتدرب على هذا النوع من الحياة كشقيقتك وابنتها. هل يمكن أن تساعدني؟».

- انسي سؤالي هذا. ستكونين عظيمة. كنت عظيمة منذ البداية. لقد تمكنت من جعل مونتورينو شهيرة أكثر مما كان بإمكاني أن أفعل في عشرين عاماً.

- يسرّني تقديرك لي. ثمة شيء ينبغي توضيحه عن المستقبل، قبل أن نعود إلى العاصمة.

لامس خدها بإصبعه وقال: «أصبحت أميّز هذه النبرة في صوتك التي تعني أن من الأفضل لك أن تصغي إليّ. النبرة التي استعملتها مع كاتي، ومعي حين رفضت أن تركعي لأعلق لك وسام الاستحقاق».

- أنا مسرورة لأنك أدركت ذلك.

كان اصبعه قد وصل إلى تحت ذقنها فجاهدت لإبقاء وجهها جاداً وصوتها حازماً: «هذا يعني أن عليّ أن أقول هذا مرة واحدة».

وأمسكت بيده مضيفة: «في ما يتعلق بأولادنا...».

فقبّل كتفها: «أولادنا؟».

- طبعاً أولادنا، عندما نرزق بهم.

- حدثيني عن أولادنا.

- حسناً، قد تكون أولهم أنثى...

- وقد يكون ذكراً.

- إذا كانت أنثى، فأتوقع أن تعامل كالذكر في كل شيء.

قال لها: «لورا، حبيبتي. لا يمكنك أن تواجهي ألف عام من التاريخ».

- أعرف أنني غير قادرة على ذلك. لكنك ستبد ويمكنك أن تفعل

www.elromansia.com

ما تريد.

ـ هكذا إذن؟ ولأني مستبد هل يعني هذا أن الكل سيفعل ما أقول؟ من دون سؤال؟

ـ الكل ما عداي، نحن متساويان في علاقتنا هذه.

فقال ضاحكاً: «متساويان؟ نعم، متساويان».

ـ ولذا، عليك أن تصدر مرسوماً. إنه أمر بسيط. ومن الأفضل أن تفعل ذلك قبل مجيء أول طفل.

فقال وهو يلامس خدها: «وهل نعمل على أساس جدول زمني معين؟».

ـ حسناً، فكرت في أن نبدأ في أي وقت في الدقائق القليلة التالية...

نظر صاحب السمّو الأمير ألكسندر ميشيل جورج أورزينو إلى وجه زوجته الحبيبة، ففقدت التقاليد معناها.

وعندما حاول النزول من السرير، سألته: «إلى أين تذهب؟».

ـ لأكتب مسوّدة المرسوم.

لكنها أمسكت به وقالت: «سبق وأعددت المسوّدة يا أميري، ويمكنك أن تراها غداً. فلديّ مشاريع أخرى لهذه الليلة».

* * *